# الرِّسَالَةُ وَالرَّسُول

بحث مختصر في

موقف الإسلام من أهل الكتاب ومن لم تبلغهم الرسالة

وموقف أهل الكتاب من الرسالة والرسول


تأليف

الأستاذ الدكتور

**محمد بن سعد بن حسين**

أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الطبعة الأولى

١٤١٢هـ

فسح وزارة الإعلام
رقم ١٩٩٦/ م
وتاريخ ١٥ / ٣ / ١٤١٢هـ

**دار عبد العزيز آل حسين**
للنشر والتوزيع
رقم الرخصة ٤٥٧١ / د



الأعمال الجرافيكية والطباعة
**مطابع الفرزدق التجارية ت : ٤٨٢٤٩٨٣**

بسم الله الرحمن الرحيم

# الرسالة والرسول



# تقديم

## بقلم: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأزكى السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بشرت به الكتب السماوية السابقة، ولم تتم كلمة الله المهيمنة، وحكمته البالغة، إلا به.

وبعد، فهذا بحث مختصر في موقف الإسلام من أهل الكتاب، ومن لم تبلغهم الرسالة، كتبه الأديب والناقد الأخ الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد عالج فيه الكاتب الفاضل عدداً من القضايا التي تدخل في باب مقارنة الأديان، وتُثْرى الحصيلة الفكرية للباحثين المسلمين الذين يجب أن يمدّوا الطرف إلى هذا الباب المهم مهما يكن تخصصهم العلمي الدقيق..

ففي هذا العصر، عصر مابعد سقوط الشيوعية، تشير كل الدلائل، إلى أن الحوار، بل والصراع، سيكونان قويين حادين بين الإسلام وأهل الدينين السابقين اليهودية والنصرانية اللذين لن يتوانيا ـ كما لم يتوانيا من قبل ـ عن الاشتباك مع الإسلام، ليس في باب معرفة الحق، بل في باب فرض القوة على الحق، عن طريق القهر الدعائي والإعلامي والفكري، بل وعن طريق استئجار عقول بعض المسلمين لينشروا بين المسلمين أفكاراً تمهد لقبول الانسلاخ من الإسلام، والاستعداد لتقبل الأفكار اللاهوتية التي تعزل الدين عن العلم والفكر والحياة، وتحصره في كنيسة تلغي المنطق والعقل، وتشيع بين الناس أن الواحد يساوي الثلاثة، والثلاثة في واحد، وتشيع صكوك

الغفران، والاعتراف، والخطيئة الوراثية، والفداء «بالابن المزعوم» تكفيراً عن خطايا آدم وعن خطايا الناس الذين ينتسبون إليه، وهو قياس بالغ الفساد، لا يقبله أيّ عقل!

* * * *

والحديث ذو شجون عن تناقض العقائد النصرانية مع العقل السليم والوحي السليم.

وجزى الله خيراً أخانا الدكتور محمد بن سعد بن حسين على اهتمامه بهذا المجال الذي يجب أن تتجه إليه جهود كثيرة، ولا سيما في المرحلة القادمة.

ولقد اتجه الأخ الباحث ببحثه إلى المسلمين، ولهذا فقد اعتمد المصادر الإسلامية الأساس، والمراجع الحديثة التي كتبها المسلمون.

وكانت كتابات الإمامين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية من أبرز المصادر التي اعتمد عليها الباحث بعد كتاب الله وكتب السنة الشريفة.

أما المراجع الحديثة، فقد كان كتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي من أبرز مراجعه في كشف حقيقة النصرانيين.

وقصة هذا الكتاب معروفة؛ إذْ هو - في أصله - مناظرة بين العالم الهنْدي الكبير رحمة الله، وبين القسّيس «فندر» ، الذي هُزم هزيمة منكرة في المناظرة التي شهدها جمهورٌ غفير من الهنود. ولم يستطع القسيس «فندر» الذي كان أبرز المنصّرين في الهنْد إبان فترة الاحتلال البريطاني - أن يستمر في الحوار، فولّى بعد يومين هارباً من المناظرة!!

ولقد عالج الباحث موضوعه في عدد من القضايا:

أولاها: موضوع ختم رسالة محمد للرسالات وهيمنتها عليها، وتصحيحها ماسقط أو حرِّف منها.

وثانيتها: التوحيد الذي هو أصل عام لكل الديانات والذي جاء الإسلام ليثبته بعد

أن عمد اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالون إلى تشويه عقيدة التوحيد بعد موسى وعيسى عليهما السلام.

وعند هذه النقطة كان أمراً موفقاً أن يقف الباحث عن مشكلتين:

أولاهما: حول نظرة الإسلام لليهود والنصارى، على أنهم أهل كتاب، مع ما أثبته القرآن والبحث العلمي المحايد من تحريفهم للتوراة والأناجيل، وإدخالهم عقائد وثنية في اليهودية والنصرانية.

وثانيهما: ثناء القرآن على أهل الكتاب، مع ثبوت ماسبق فيهم.

والحقيقة التي أضيفها هنا- إلى جانب ما أورده الباحث الفاضل- أن القرآن المنزل من العليم الخبير يفيدنا ماثبت - فعلا- من وجود عدد من أهل الكتاب المتصلين بالمسلمين انضموا إلى قافلة الإيمان، لكنهم لاعتبارات كثيرة لا يستطيعون إعلان إسلامهم، لأن الكنيسة القوية سياسياً واقتصادياً تلاحقهم في حياتهم وتحاربهم أسرياً وإجتماعياً واقتصادياً.. ومن تجربة نشر الإسلام الأولى نعلم أن هناك ملوكاً اقتنعوا بالإسلام لكنهم خافوا من رجال الدين ومن الشعب الذي يمشي وراءهم معصوب العقل مقهور الفكر!!

ومما عالجه الباحث- كذلك- موضوع «إبطال العمل بالتوراة والإنجيل»، وهي ليست إنجيلا واحداً، ولكنها «أناجيل» لأننا لا نعلم للنصرانية إنجيلا واحداً، بل أناجيل متعددة متناقضة، والإنجيل الواحد الذي أنزله الله على المسيح عيسى عليه السلام مفقود ولا أثر له.

وفي مجال إثبات البشارة بنبي الله محمد عليه الصلاة والسلام قبل نزول القرآن تتبع الباحث آراء الباحثين الإسلامين كابن كثير، والطيالسي، وسيد قطب، وانتهى إلى بسط الوجوه المؤكدة لوجود هذه البشارة عند أهل الكتاب، كما أوردها العلامة ابن القيم، رحمه الله، وهي وجوه كثيرة بلغت ثمانية وثلاثين وجهاً مستقاة كلها من التوراة والأناجيل، وفيها ذكر لمواصفات النبّي محمد عليه الصلاة والسلام كأنك تراه وتلمسه، بل وهي وجوه في مجموعها لا تنطبق - بهذا الشمول وبهذا التدقيق- إلا على محمد عليه الصلاة والسلام، وما يؤولها من أهل الكتاب لصرفها عن محمد عليه

الصلاة والسلام تكلّف إن جاز في وجه فسد في وجوه أخرى.. فهي صفاته، ولا تصلح، ولا تنطبق إلا عليه.

* * * *

وأما «الأطفال والصغار المشركون الذين لم تبلغهم الدعوة».. فأفضل مايقال في هؤلاء الأطفال أنهم غير مكلفين، فإما أن يكونوا في الجنة كأهها، أو يكونوا خدماً لأهلها ينعمون بمثل ماينعم به أهلها، كما يسعد الخدم الآن بسعادة مخدوميهم العادلين، وإما يتركوا لمشيئة الله وعدله..

هذا الفقه الذي يتناسب مع عدل الإسلام ورحمة الله سبحانه وتعالى.

أما هو الآخرون البالغون الذين لم تبلغهم الدعوة فيؤاخذون بقدر ماعلموا، وبقدر ماكان باستطاعتهم أن يعلموا لكنهم أبوا ورفضوا أن يعلموا كبراً وغروراً. ثم يكون بقية التعذيب للمسلمين الذين انصرفوا عن الدعوة وأهملوها، وبخسوها حقّها، وجعلوها في درجة متأخرة من اهتماماتهم مع أنها قضية حياتهم الأولى!!

* * * *

ومع هذه الخواطر التي ألمعنا إليها تجاوباً مع الباحث الكريم وبحثه، أشيد بجهد الباحث وباتجاهه، وأحمد له- بعد حمد الله حمداً يليق بجلاله- أنه لفت أنظار شباب الدعوة والبحث إلى مصادر كريمة ومراجع خطيرة.. وعلى رأس المراجع الحديثة التي أعطاها حقها كتاب «إظهار الحق» الذي لاينبغي أن لا تخلو منه مكتبة إسلامية خاصة أو عامة؛ لما فيه من قوة الحجة ونصاعة الحق..

كما كشف لنا بعض الكنوز المذخورة في تراثنا والتي تقدم زاداً بالغ النفع في مواجهة أباطيل اليهودية والنصرانية.. وقد تشعر وأنت تقرأ لابن تيمية وابن القيم كأنك تقرأ لأكبر عالم من علماء مقارنة الأديان في العصر الحديث.. ولعلك تسأل نفسك: كيف نبغوا هذا النبوغ؟، وكيف كانوا على المنهجية العلمية بهذا القدر؟، وكيف أحسنوا كل موضوع اقتحموه هذا الإحسان؟!؛ وتأتيك الإجابة الإسلامية الشافية في

قوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ .. لقد كان العلم عندهم جهاداً وتقوى، ولم يكن وسيلة للشهادة الدنيوية والمال والمنصب..

ونحن مدعوون إلى نقد واقعنا، والعودة إلى تراثنا وذاتنا، والأخذ بكل سباب البحث العلمي حتى نستطيع أن نكون بحق في هذا العصر المتخم بالعلوم والثقافة جنوداً حقيقيين نافعين للإسلام!!

وعندما يتحقق لنا ذلك فسوف يتحقق وعد الله:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾

(الصف / ٩)

ومرة أخرى

أقدم شكري للمؤلف الكريم، وأسأل الله أن يعينه على الاستمرار في جهاده وذوده عن دين الله الكريم..

ومن الله التوفيق والسداد.

**د. عبد الله بن عبد المحسن التركي**

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

# مقدمــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد و على آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وجعلنا منهم آمين . وبعد:

في ليلة من الليالي الطيبة التي تجمعنا ببعض العلماء ورجال الفكر، وفي بيت أحد العلمـــــاء ، حصلت مذاكرة في بعض المسائل العلمية كان من أهمها:

١- موافقة أهل الكتاب على بقائهم على دينهم إذا دفعوا الجزية.

٢- حكم من بلغته الرسالة من أهل الكتاب فلم يؤمن بها.

٣- وجه ثناء القرآن الكريم على أهل الكتاب.

٤- كيف نسخ القرآن الكريم كتابين سماويين.

٥- حكم من لم تبلغه الرسالة من الكتابيين وغيرهم.

فقال أحد الفضلاء(١) موجهاً القول إليَّ: (نريد منك محاضرة في هذا الموضوع).

ومع كوني لست بأفضلهم ولا بأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد وجدت أنه من الوجب عليَّ الاستجابة لتلك الرغبة الحبيبة إلى النفس مع قله البضاعة ووفرة الإضاعة بسبب تزاحم الأشغال وتزايد انشغال البال، وإن كان كل ذلك في ميدان العلم والتعليم.

---

(١) الدكتور عبد العزيز الربيعة.

ولما كان العمدة في ذلك كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ فقد اتجهت إلى ذلك البحر الزاخر أغترف منه مايسر لي المولى معلقاً عليه بما فتح اللّه به عليَّ، وبما أقتبسه من أقوال علماء الإسلام مما يتصل بهذا الموضوع الشريف.

وقد أملى الموضوع عليَّ البدء أولاً بالحديث عن ختم الرسالات بمحمد ﷺ .

ولما كان التوحيد هو الأساس الذي قامت عليه جميع الديانات السماوية كان ممالابد منه الحديث عن هذا الموضوع إلى كون بعض النصارى واليهود قد أشركوا مع اللّه غيره مع نهي التوراة والإنجيل عن ذلك قبل التحريف.

ولبيات تسامح الإسلام مع أهل الكتاب وتميزهم عن غيرهم كان لابد من الحديث - أيضاً - عن فرض الجزية على مَنْ أبى الدخول في الإسلام، ولكنه دخل في صلح مع المسلمين وهذا الموضوع من ممليات هذا البحث.

ومما استدعاه الموضوع السابق الحديث عن المغضوب عليهم والضالين وهم اليهود والنصارى.

وثناء القرآن على من آمن من أهل الكتاب مما يتطلب الحديث فيه موضوعُنا هذا، ولذا كانت لنا فيه وقفة.

ونزول القرآن الكريم على محمد ﷺ موجب لإبطال العمل بالتوراة والإنجيل، وهذا الموضوع من أهم ممليات هذا البحث الذي استدعى الحديث عن المناظرة التي عقدت في الهند سنة ١٢٧٠هـ، بين الشيخ رحمة اللّه العثماني ومعاونيه، والقسيس فندر ومعاونيه، كما أفضى ذلك إلى الحديث عن كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة اللّه العثماني ومناقشته آراء القسيس فندر في كتابه ميزان الحق.

ومن الأمور التي كانت موضوع جدل حكم من لم تبلغهم رسالة محمد ﷺ وقد حاولنا بيان وجه الحق في هذا.

ثم ختمنا الحديث في هذا الموضوع بإيماءَة إلى الحرب التي شنت على لغة القرآن الكريم اللغة العربية.

وأملي أن أكون قد قدمت في الموضوع ما أمَّلهُ الإخوان الفضلاء حين ألقوا بهذا

الأمر علي معترفًا بالعجز والتقصير، آملاً من المولى سبحانه وتعالى العفو عن الزلة وسد الخلة والأخذ بأيدينا إلى سبيل الصلاح والإصلاح.

والمصادر الرئيسة في هذا البحث أهمها:

أ- التفيسر:

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٢- تفيسر القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير.

٣- الكشاف للزمخشري.

٤- الفتوحات الإلهية للجمل.

٥- في ظلال القرآن لسيد قطب.

ب - ومن كتب الحديث:

١-صحيح البخاري.

٢- صحيح مسلم.

٣- كتاب التوحيد لابن مندة.

جـ - وكتب أخرى:

١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

٢- كتاب النبوات لأحمد بن تيمية.

٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية.

٥- كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية.

٦- الدرر السنية والأجوبة النجدية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.

٧- إظهار الحق للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني.

٨- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لعلي بن محمد بن أبي العز.

٩- المناظرة بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر- تحقيق الدكتور محمد عبد القادر خليل.

وهي مصادر غنية بالفوائد في هذا الموضوع وسواه. ولم نرد التزيد بذكر كتب أخرى عالجت الموضوع ولم تخرج عما ورد فيما ذكرناه من مصادر.

على أن هذه الرسالة الصغيرة لم يقصد بها بسط الجواب في هذا الموضوع ومعالجته المعالجة الكافية من جميع جوانبة. وإنما هي استجابة لرغبة وقتية، آمل أن تكون بداية أتم وأوسع ييسرها اللّه لي، أو لمن قد يسبقني على شرفها.

وفقنا اللّه جميعاً إلى العمل الصالح والقول السديد.

**المؤلـــف**

في ١٢ من رجب ١٤١٢هـ

الموافق ١٦ من يناير ١٩٩٢م

بحي الملز– من مدينة الرياض – العامرة

## ختــــم الـرســــالات

عندما يجادل المسلم المعلوم صحة الإسلام والاعتقاد في مثل هذه القضايا فهو إنما يجادل ليزداد إيماناً ويقيناً على ماهو عليه من إيمان ويقين، فحاله في ذلك كحاله عندما يقول(أنبت الربيع البقل) أو (قوست ظهري أحداثُ الزمان) أو (هذه البضاعة جلبت لي الربح).

حيث إنه في ذلك كله يعتقد أن الفاعل حقيقة هو الله - سبحانه وتعالى- وما هذه الأمور إلا أسباب، إما مباشرة (كأحداث الزمان) و(البضاعة)، وإما بواسطة سبب آخر مثل (الربيع)، ذلك أن إنبات الربيع إنما يكون بالماء الذي ينزله الله فيه.

ثم إن الجدل في مسألتنا هذه يشبه افتراض وقوع مشكلة فيطلب الحكم فيها، وهذا كثير عند العلماء، وذلك من أجل تبين الحكم فيما لو وقع مثل هذا، ومثل ذلك كثير عند الفقهاء بخاصة ويصير إليه الآخرون عند الحاجة.

ولست بهذا باحثاً عن مسوغ ولا دافعاً شبهُه محققة، ولكن الشيء بالشيء يذكر.

ولما كان الحديث في هذه المسائل مرتبطاً بالحديث عن بعثة محمد ﷺ خاتماً للمرسلين، وناشراً للدين وهو خاتم الديانات صار لزاماً علينا بدء الحديث بإشارة غير مستوعية إلى بعثة محمد بن عبد الله وتبشير الأديان السماوية به، وإن كنا نُقر سلفاً بأنه ليس في مقدورنا إعطاء مثل هذه الموضوعات حقها من البحث في مثل هذه العجالة، فحسبنا من ذلك التذكير والإشارة.

ولذا نقول معتمدين على عون الله ومده.

طبعي أن يكون حديثنا عن بعثة المصطفى ﷺ فيما يتصل منها بأهل الكتاب لكون الموضوع في هذا الميدان من هذا الباب وإلا فمجال الحديث عنه ﷺ أرحب من أن تتسع له مثل هذه العجالة، فلقد بعث الله محمداً ﷺ على فترةٍ من الرسل بشيراً ونذيراً

وهاديًا و سراجًا منيرًا، يأخذ بيدِ البشرية إلى سواء السبيل.

وأوحى الله إليه بكتاب هوأتم الكتب وأصحها، وهو خاتم الكتب السماوية، خاطب الباري سبحانه فيه أهل الكتاب في أكثر من موضوع، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١).

قال ابن كثير: ( يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾ أي يبين مابدلوه وحرفوه وأوّلوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه؛ وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه- قال: مَنْ كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لايحتسب قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، فكان الرجم مما أخفوه، ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ أي طريق النجاة والسلامة ومنهج الاستقامة ﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ أي ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المعذور، ويحصل لهم أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة ) (٢).

وقال الزمخشري: [ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ خطاب لليهود والنصارى ﴿ مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ ﴾

---

(١) المائدة / ١٥ ، ١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٢ ص ٣٣ ، ٣٤.

من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم﴿ويعفو عن كثير﴾ مما تخفونه لايبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية، ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكمه وصفته[1] مما لابد من بيانه، وكذلك الرجم ومافيه من إحياءشريعة وإماتة بدعة. وعن الحسن: ويعفو عن كثير منكم لايؤاخذه﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾يريد القرآن، لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ماكان خافياً عن الناس من الحق. أو لأنه ظاهر الإعجاز« من اتبع رضوانه» من آمن به« سبل السلام» طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله][2].

وقال الجمل:[ قوله﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل للتوراة والإنجيل إثر بيان أحوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ والقرآن وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدربه على مايتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع عليهم فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان مافيه من الأحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف مافعلوا وهم يعلمون ، أ هـ.

أبو السعود قوله﴿ يبين لكم كثيراً مماكنتم تخفون من الكتاب﴾يعني أن محمداً ﷺ يظهر كثيراً مما أخفوا وكتموا من التوراة والإنجيل وذلك أنهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد ﷺ وغير ذلك، ثم إن رسول الله ﷺ بيَّن ذلك وأظهره وهذا معجزة للنبي ﷺ لأنه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم مافيه فكان إظهار ذلك معجزةِ له﴿ويعفو عن كثير﴾ يعني ممايكتمونه فلا يتعرض له ولايؤاخذهم به لأنه لاحاجة إلى إظهاره والفائدة في ذلك أنهم يعلمون كون النبي ﷺ عالمًا بما يخفونه وهو معجزة له أيضاً فيكون ذلك داعياً لهم إلى الإيمان به][3].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

قال ابن كثير: [يقول الله تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد

---

(١) يبدو أن الضمير في صفته راجع إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

(٢) الكشاف للزمخشري، جـ ١ ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٣) الفتوحات الإلهية للجمل، جـ ١ ص ٤٧.٤.

(٤) المائدة / ١٩ .

أرسل إليهم رسوله محمداً ﷺ خاتم النبيين الذي لانبي بعده ولارسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على فترة من الرسل أي بعدمدة متطاولة مابين إرساله موسى وعيسى ابن مريم، وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي؟، فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه: كانت ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة، وقال معمر عن بعض أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة، وقال الضحاك: أربعمائة وبضع ثلاثون سنة، وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى- عليه السلام - عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة، والمشهور هو القول الأول، وهو أنها ستمائة سنة، ومنهم من يقول : ستمائة وعشرون سنة، ولامنافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين، ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ . أي قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخاري عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: ( أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي)، وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود أن اللّه بعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين كما قال الإمام أحمد:حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حماد المجاشعي- رضي اللّه عنه- أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته:( وإن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مماعلمني في يومي هذا كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإن الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماأحللت وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانًا، ثم إن اللّه عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا

من بني إسرائيل، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لايغسله الماء تقرأنائماً ويقظاناً، ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت : يارب إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة!، فقال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق عليهم فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة أمثاله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق متصدق ورجل رحيم القلب بكل ذي قربى ومسلم ورجل عفيف فقير ذو عيال، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لادين له والذين هم فيكم تبعاً أو بتعاً- شك يحيى- لايبتغون أهلاً ولامالاً، والخائن الذي لايخفى له طمع وإن دق الإخانة، ورجل لايصبح ولايمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخيل أو الكذب والشنظير الفاحش)، ثم رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف، وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن قتادة لم يسمعه من مطرف وإنما سمعه من أربعة عنه ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الأثرم عن الحسن قال: حدثني مطرف عن عياض بن حماد فذكره ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الأعرابي به والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله:( وإن الله ينظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجمهم وعربهم إلابقايامن بني إسرائيل)، وفي لفظ مسلم من أهل الكتاب وكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمداً ﷺ فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء ولهذا قال تعالى: ﴿أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير﴾.

أي: لئلا تحتجوا وتقولوا: ياأيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ماجاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمداً ﷺ﴿والله على كل شيء قدير﴾قال ابن جرير معناه إني قادر على عقاب مَنْ عصاني وثواب من أطاعني](١).

وقال الزمخشري:[ ﴿يبين لكم﴾إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع، وحذفه

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٢ ص ٣٥ ، ٣٦ .

لظهور ماورد الرسول لتبيينه. أو يقدر ماكنتم تخفون،وحذفه لتقدم ذكره. أولايقدر ويكون المعنى. يبذل لكم البيان، ومعلة النصب على الحال، أي مبيناً لكم . و﴿على فترة﴾متعلق بجاءكم، أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي﴿أن تقولوا﴾:كراهة أن تقولوا:﴿فقد جاءكم﴾: متعلق بمحذوف، أي: لاتعتذروا فقدجاءكم، وقيل:: كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم خمسمائة وستون سنة. وقيل: ستمائة. وقيل: أربعمائة ونيف وستون. وعن الكلبي: كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة. وألف نبي، وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أربعة أنبياء، ثلاث من بني إسرائيل، وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي. والمعنى: الامتنان عليهم، وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج مايكون إليه ، ليهشوا إليه ويعدّوه أعظم نعمة من اللّه، وفتح باب إلى الرحمة، وتلزمهم الحجة فلايعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينههم عن غفلتهم](١).

وهذا دليل على أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى كانوا يخفون كثيراً مماجاء في كتب اللّه التي أنزلها على أنبيائه، فجاء الكتاب العزيز مشنعًا عليهم بكل ماأفسدوا في تلك الكتب من تحويف وتبديل وحذف وزيادة سلبت تلك الكتب الصحة، وأدخلتها في حكم كلام البشر، بل إن جلها كان كذلك على ماستعرفه مستقبلاً، إن شاء اللّه.

وقد قضت إرادة الباري سبحانه أن يكون دين الإسلام خاتم الديانات، وأن تكون رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات، وأن يكون محمد خاتم المرسلين، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٢).

قال ابن كثير: [وقوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ كقوله عزوجل ﴿اللّه أعلم حيث يجعل رسالته﴾فهذه الآية نص في أنه لانبي بعده، وإذا كان لانبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولاينعكس، وبذلك وردت

---

(١) الكشاف للزمخشري، جـ ١ /ص ٤٨١ .

(٢) الأحزاب/٤٠ .

الأحاديث المتواترة... فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لانبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذّاب أفاك دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ماعلم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله، وكذلك كل مدَّع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال](١).

قال الزمخشري:[ فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لاينبأ أحد بعده، وعيسى ممن نبئ قبله، وحين ينزل عاملاً على شريعة محمد، مصلياً إلى قبلته، كأنه بعض أمته](٢).

وفي الفتوحات الإلهية:[﴿ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين﴾فلايكون له ابن رجل بعده يكون نبياً، وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾منه بأن لانبي بعده](٣).

وفي ظلال القرآن:[﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾. ومن ثم فهو يشرع الشرائع الباقية، لتسير عليها البشرية، وفق آخر رسالة السماء إلى الأرض، التي لا تبديل فيها بعد ذلك ولاتغيير.فهو الذي يعلم مايصلح لهذه البشرية، ومايصلحها؛ وهو الذي فرض على النبي مافرض، واختار ما اختار ](٤).

تلك شبه خلاصة لماورد في كتب التفسير لم نُرِد المزيد عليها اختصاراً.

وفي الحديث الشريف عن جابر عن النبي ﷺ قال:( مَثَلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلاموضع لبنةٍ فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ٣ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤.
(٢) الكشاف للزمخشري، جـ٣ ص ٤٣٠ .
(٣) لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، ج ٣ ص ٤٤١.
(٤) لسيد قطب ، جـ٥ ص ٢٨٧٠ .

ويقولون لولا موضع اللبنة، قال رسول اللّه ﷺ فأنا موضع اللبنةِ جئت فختمت الأنبياء)(١).

وعن أبي هريرة- رضي اللّه عنه- أن رسول اللّه ﷺ قال:( إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلاموضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنه! قال: فأنا اللبنة وأناخاتم النبيين)(٢).

وفي حديث شفاعته ﷺ يوم القيامة وهو حديث طويل، قال رسول اللّه ﷺ بعدما ذكر طلب الخلق الشفاعة من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى- عليهم السلام- وكل منهم يعتذر بذنبه قال:( فيقولون يامحمد أنت رسول اللّه وخاتم الأنبياء وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر اشفع لنا إلى ربك ألاترى مانحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًالم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يامحمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يارب، أمتي يارب، فيقال: يامحمد ادخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبُصْرى)(٣).

وجاءت رسالة محمد ﷺ موافقة لصحيح الأديان السماوية من قبله.

فقد قضت إرادة الرب تبارك وتعالى أن يأخذ عباده بالتدريج في الدين تيسيراً لهم وتسهيلاً عليهم فيما يكلفون به من شئون الدنيا والأخرى حتى إذا كمُل استعدادهم كمل لهم الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٤).

---

(١) صحيح الإمام مسلم، جـ٣ ص ٦٥ .

(٢) صحيح البخاري جـ٢ ص ١٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، جـ٣ ص ٩٤ .

(٤) المائدة/ من الاية ٣.

وكان الله عز وجل يرسل الرسل في قومهم وعشائرهم بخاصة وهذا من باب التمهيد أيضاً، فلما بعث محمد ﷺ أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فوجب بذلك على جميع الخلق اتباعه ماوافق منه الأديان السابقة وماخالفها ومازاد على هذه، ومن لم يفعل ذلك فهو من الكافرين، سواء أكان من أهل الكتاب أم لم يكن منهم.

ولولم يكن النبي ﷺ صادقاً، والقرآن الكريم صدقاً لماجاء فيه قول الباري سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ (١).

فالآية الكريمة مشتملة على تحدٍ ظاهر للمشركين ودليل قاطع على أن أهل الكتاب يعرفون محمداً ﷺ ويعرفون صدقه وصدق ماجاء به وذلك فيما جاءت به رسلهم يقول الإمام ابن تيمية:[ وهو سبحانه أمرأن يسأل أهل الكتاب وأهل الذكر عما عندهم من العلم من أمور الأنبياء هل هو من جنس ماجاء به محمد أو هو مخالف له ليتبين بأخبار أهل الكتاب المتواترة جنس ماجاءت به الأنبياء وحينئذٍ فيعرف قطعاً أن محمداً نبي ، بل هو أحق بالنبوة من غيره؛ والثاني أن يسألوهم عن خصوص محمد وذكره عندهم وهذا يعرفه الخاصة منهم ليس هو معروفاً كالأول يعرفه كل كتابي، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾وقوله﴿شَهِدَ شَاهِدٌ﴾ليس المقصود شاهداً واحداً معيناً بل ولايحتمل كونه واحداً. وقول من قال: إنه عبد الله بن سلام ليس بشيء فإن هذه نزلت بمكة قبل أن يعرف ابن سلام ولكن المقصود جنس الشاهد كما تقول قام الدليل وهو الشاهد الذي يجب تصديقه سواء كان واحداً قد يقترن بخبره مايدل على صدقه أو كان عدداً يحصل بخبرهم العلم بما تقول فإن خبرك بهذا صادق وقوله( على مثله) فإن الشاهد من بني إسرائيل على مثله القرآن وهوأن الله بعث بشراً وأنزل عليه كتاباً أمر فيه بعبادة الله

---

(١) الأحقاف/ من الآية ١٠ .

وحده لاشريك له ونهي فيه عن عبادة ما سواه وأخبر فيه أنه خلق هذا العالم وحده وأمثال ذلك] (١).

وقد أشار ابن تيمية أيضاً. في موضع آخر إلى شيء من ذلك، حيث ذكر أمر موسى قومه بتصديق من يأتي بعده، وذكر الخلاف حول هذا أهو يوشع أم عيسى أم محمد- عليهم الصلاة والسلام- أم هو عام في جميع الرسل(٢)؟، ورجح هذا الأخير.



(١) كتاب النبوات للعلامة أحمد بن تيمية . عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ إدارة الطباعة المنيرية، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢)انظر المصدر السابق ص ١٦٠ ، ١٦١.

# التوحيد أصل الديانات

والتوحيد هو أصل الدين وبه أمرت كل أمة على ألسن الأنبياء - عليهم السلام- وهذا مالم ينله الاختلاف في جميع الأديان.

والتحريف والإلحاد الذي جرى من اليهود والنصارى وذكره القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(١).

وقول النصارى إن الله ثالث ثلاثة، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣).

وموافقة الإسلام الأديان الأخرى في هذا لايعد حجة لإقرار ماسواه ممانسخ أو ضلوا في تحريفه أو تأويله.

قال ابن كثير على قول الله تبارك وتعالى: [ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ ﴾ يامحمد ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ أي: دليلكم

---

(١) التوبة/٣٠ .

(٢) النساء/ ١٧١ .

(٣) المائدة/ ٧٣ .

على ماتقولون ﴿ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي ﴾ يعني الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أنتم أيها المشركون لاتعلمون الحق فأنتم معرضون عنه، ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ كما قال. ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شدي ] (١).

وقال أيضاً على قوله تبارك وتعالى: [ ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾. أي جميع الرسل دعوا إلى مادعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لاشريك له ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد كقوله جلت عظمته: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ قال مجاهد: في قراءة عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا. وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسُدِّي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- وهذا كأنه تفسير لاتلاوة، والله أعلم] (٢).

وقال الشيخ عبد الله أبابطين: [ قال الله عزوجل: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ فلما علمنا سبحانه أنه ماخلقنا إلا لعبادته وجب علينا الاعتناء بما خلقنا له علماً وعملاً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما-: كل مافي القرآن من الأمر بالعبادة فالمراد به التوحيد، وبذلك أرسل الله جميع الرسل قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾، وكل رسول أول مايقرع أسماع قومه أن يقول: ( اعبدوا الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ١٢٩.

مالكم من إله غيره) وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، قال مالك وغير واحد من المفسرين: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت، قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وابن عباس- رضي الله عنهما-: الطاغوت الشيطان قال ابن كثير- رحمه الله - وهو قول قوي جداً فإنه يتناول كل ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها، والانتصار بها ذكره على قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الآية، قال النووي؛: قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله] (١).



(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط٢، ١٣٨٨هـ. جـ ٩ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

# الاكتفاء بالجزية

ومسألة الاكتفاء بأخذ الجزية من أهل الكتاب لم يكن إقرارًا لهم على دينهم بل للتفريق بينهم وبين الوثنيين والدهريين ونحوهم من أرباب الملل غير السماوية.

وقد يقال: ما الفرق بين وثنية التثليث عند النصارى ووثنية العرب الذين يقرون بوجود الله سبحانه لكنهم يتخذون الأوثان واسطة كما ورد في الكتاب العزيز: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١).

والجواب على ذلك- والله أعلم- أن الوثنيين من النصارى أهل كتاب انحرفوا، لكن بقيّ لهم نوع سبب يربطهم بالكتاب المنزل.

أما الوثنيون العرب وسواهم فلاصلة لهم بكتاب منزل.

ثم إن تلك المزية التي خُص أهل الكتاب بها تنتفي إذا نقضوا عهد المسلمين ولولم تكن كذلك ماقوتلوا عند نقضهم الميثاق أو إصرارهم على دينهم وحرابتهم المسلمين بعدرفضهم الإسلام والجزية معاً.



(١) الزمر/ من الآية ٣ .

# المغضوب عليهم ، والضالون

لما انحرف اليهود والنصارى عن الطريق السوي وأوغل اليهود في الضلال فأشركوا مع اللّه غيره، ثم فعل النصارى مثل فعلهم لابد من أن ينالهم الوعد والوعيد وأن يشنع بعملهم السيئ في الكتاب العزيز، وكذلك في آخر سورة الفاتحة.

فاليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون، فالحق منتفٍ عن مذهبهم بنص كتاب اللّه وسنة رسوله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية على قوله تبارك وتعالى:[ ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

قال : وقد صح عن النبي- ﷺ- أنه قال:« اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون». وكتاب اللّه يدل على ذلك في مواضع] (١).

ثم أورد جملة من آيات كتاب اللّه العزيز تشهد على ذلك وتقرره ثم قال:[ ولما أمرنا اللّه سبحانه: أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء: والصالحين، المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين: كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال:« لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة؛ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا يارسول اللّه: اليهود والنصارى؟ قال:« فمن؟» وهو حديث صحيح.

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم: ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العبّاد: ففيه شبه من النصارى، كما يرى في أحوال منحرفة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العامي النجدي الحنبلي- الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ ، ج ١ ص ٦٤.

أهل العلم: من تحريف الكلم عن مواضعه، وقسوة القلوب، والبخل بالعلم، والكبر وأمر الناس بالبر و نسيان أنفسهم، وغير ذلك. وكما يرى في منحرفة أهل العبادة والأحوال من الغلو في الأنبياء والصالحين، والابتداع في العبادات، من الرهبانية والصور والأصوات.

ولهذا قال النبي ﷺ: (لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أناعبد فقولوا عبد اللّه ورسوله)، ولهذا حق اللّه له نعت العبودية في أرفع مقاماته] (١).

وقال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز: [من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العُبّاد ففيه شبه من النصارى فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم فيه شبه من اليهود، حتى إن علماء اليهود يقرأون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى. وأكثر المنحرفين من العُبّاد، من المتصوفة ونحوهم فيه شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحادو نحو ذلك. وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوَجْد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء](٢).



(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام جـ ١ ص ٦٥، ٦٦.

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٢، ١٣٧٣هـ ص ٤٥٥.

# ثناء القرآن على أهل الكتاب

مسألة أخرى، قال آخر: إن الله تبارك وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ . وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١).

أفلا يعني هذا أن هؤلاء المذكورين من أهل الكتاب على حق وإن بقوا على دينهم في اليهودية والنصرانية؟.

والجواب على ذلك- والله أعلم- أن المعنين في ذلك هم أولئك الذين صدقوا رسول الله محمداً ﷺ من أهل الكتاب وآمنوابه واتبعوه.

وهؤلاء هم الذين سيجزون بأعمالهم الطيبة ولن يضيع منها شيء وأن ماعملوه من خير قبل ذلك محفوظ لهم وسيجزونه يوم القيامة.

وفي تفسير هذه الآيات الكريمات قال ابن كثير: [ قال ابن أبي نجيح: زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي عن ابن مسعود في قوله تعالى« ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة» قال:لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ، وهكذا قال السدي. ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ،حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالا: حدثنا شيبان عن عاصم عن زرعن ابن مسعود قال: أخَّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال:( أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم).

قال فنزلت هذه الآيات ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ - إلى قوله- وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحق وغيره، ورواه العوفي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة ابن شعبة وغيرهم أي لايستوي من تقدم ذكرهم بالذم

---

(١) آل عمران/ ١١٣ - ١١٥ .

من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ أي ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبي الله فهي قائمة يعني مستقيمة ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة «وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل إليهم خاشعين لله» الآية. ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي لايضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي لايخفى عليه عمل عامل ولايضيع لديه أجر من أحسن عملا](١)

وقال صاحب الكشاف: [﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ كما وقع قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بيانًا لقوله ﴿كنتم خير أمة﴾، أمة قائمة: مستقيمة عادلة من قولك: أقمت العود فقام، بمعنى استقام، وهم الذين أسلموا منهم] (٢).

وفي ظلال القرآن [ وهي صورة وضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب. فقد آمنوا إيمانًا صادقًا عميقًا، وكاملاً شاملاً، وانضموا للصف المسلم، وقاموا على حراسة هذا الدين... آمنوا بالله واليوم الآخر... وقد نهضوا بتكاليف الإيمان وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها- خير أمة أخرجت للناس- فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر... وقد رغبت نفوسهم في الخير جملة، فجعلوه الهدف الذي يسابقون فيه، فسارعوا في الخيرات،ومن ثم هذه الشهادة العلوية لهم أنهم من الصالحين. وهذا الوعد الصادق لهم أنهم لن يبخسوا حقًا،ولن يُكفروا أجرًا. مع الإشارة إلى أن الله- سبحانه- علم أنهم من المتقين] (٣).

✿ ✿

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٩٧ .
(٢) الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٣٠٩ .
(٣) لسيد قطب جـ ١ ص ٤٤٤ .

# إبطال العمل بالتوراة والإنجيل ووجوب العمل بالقرآن

وسأل سائل فقال؛ إذا كانت التوراة والإنجيل من عند الله- سبحانه وتعالى- فما وجه إبطال العمل بهما؟.

والجواب على ذلك مختصراً من وجهين:

أولها: أن القران الكريم قد تضمن من الأحكام مالم تتضمنه الكتب السماوية السابقة، فهو أتم وأكمل كما جاء في سورة المائدة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ (١).

وثانيهما: أن التوراة والإنجيل قد أصابهما من التحريف والتبديل ما أبطل وجوب العمل بهما بعد نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ وأوجب العمل بهذا القرآن الذي حفظ من التبديل والتحريف وكل أسباب النقص أوالزيادة، قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢).

والتوراة والإنجيل ليستا على هيئتهما التي جاءتا عليها من عند الله سبحانه وتعالى، وما نقلتانصاًولا معنىً كاملاً عن النبيين موسى وعيسى- عليهما السلام- بل إن جل ما فيهما من أقول الحواريين وأيسر دليل على ذلك الاختلاف الواضح بين الأناجيل المتعددة، إلى كون التعدد نفسه دليلاً على عدم ثبوت النصية لفظاً ومعنىً، وكلام الله وهو القرآن مقدم على كلام غيره، وما لاشك فيه أولى مما فيه شك.

وظهور الكرامات على يد الحواريين لايوجب اتباعهم ولايقضي بعصمتهم . لأنهم ليسوا أنبياء وهذا من مظاهر ضلال النصارى الذين أوجبوا اتباع الحواريين فيما قالوا وادعوا عصمتهم(٣).

وأهل الكتاب مأمورون ومطالبون بتحكيم التوراة والإنجيل قال: تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ

---

(١) المائدة/ من الآية ٣ .

(٢) فصلت/ ٤٢ .

(٣)انظر كتاب النبوات ص ٥.

وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ . وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾(٢).

ومما أمروا به في التوراة والإنجيل تصديق محمد ﷺ واتباعه والأخذ بما جاء به عن ربه كما ورد في الآيات الكريمة.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

وأخذ الميثاق على أي نبي من الأنبياء أخذ على أمته أيضاً وما يؤمر به مأمورة به أمته فاتباع النبي ﷺ مما أمرت به الأمم من قبله عى ألسن أنبيائها عليهم السلام.

وهذه المسألة وما سبقها من مسائل كانت هي وماأشبهها موضوع جدل بين المسلمين وأهل الكتاب وبخاصة النصارى، وهذا الجدل قديم وُجد منذ جاء الإسلام.

وأشهر مناظرة جرت بين علماء المسلمين وقساوسة النصارى المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني والقسيس الإنجليزي فندر.



(١) المائدة / ٤٤ .
(٢) المائدة/ ٤٧ - ٤٩ .
(٣) الأعراف/ ١٥٧ .

# المناظرة بين الشيخ رحمة اللّه والقسيس فندر

عندما قويت الدولة البريطانية ومدت سلطانها على جل أنحاء المعمورة كانت تعمل على فرض نفوذها في كل اتجاه منا اتجاهات الحياة حتى الأديان ولم يحصل أن وقف في وجهها دين سوى دين الإسلام الذي لم تستطع جهود التنصير القضاء عليه. وكان المنصرون يحاربون الأديان بشتى الوسائل ومن ذلك التعليم والتأليف والخطب والمقالات.

وكان القسيس فندر قد وجد الفرصة مناسبة في الهند لنشر كتابه الذي طعن فيه على الإسلام ورسول الإسلام وسماه« ميزان الحق» فأفضى الموقف المضاد من المسلمين إلى المناظرة بين الشيخ رحمة اللّه والقسيس فندر على ماسيأتي، إن شاء اللّه.

وقد جاء في تلك المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمة اللّه، والقسيس فندر سنة ١٢٧٠ هـ ما يثبت ماأشرنا إليه من العبث الجاري في الكتابين « الإنجيل والتوراة» ، ومما جاء في تلك المناظرة: قال الشيخ رحمة اللّه:[ إن يوسي بيس المؤرخ قال في الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه:« ذكر جستن الشهير في مقابلة طريفون اليهودي عدة بشارات، وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة».

وقال واتسن في الصفحة ٣٢ من المجلد الثالث هكذا:« إني لاأشك في هذا الأمر أن العبارات التي ألزم فيها جستن اليهود في مباحثة طريفون بأنهم أسقطوها، كانت تلك العبارات في عهد جستن وأرينيوس موجودة في النسخة العبرانية والترجمة السبعينية وأجزاء من الكتاب المقدس، وإن لم توجد الآن في نسخهما سيما العبارة التي قال جستن: إنها كانت في كتاب إرميا، وكتاب سلبرجيس في حاشية جستن، وكتب الدكتور كريب في حاشية أرينيوس أنه يعلم أن بطرس لما كتب الآية السادسة من الباب الرابع من رسالته الأولى كانت هذه البشارة في خياله» انتهى.

وقال هورن في الصفحة ٦٢ من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٨٢م

هكذا:« ادّعى جستن في كتابه في مقابلة طريفون اليهودي، أن عزرا قال للناس:« إن طعـام عيد الفصح طعـام ربنا المنجي، فإن فـهمتم الرب أفـضل من هذه العلامـة يعني الطعام وآمنتم به، فلاتكون هذه الأرض غير معمورة، وإن لم تسمعوا وعظهُ تكونوا سبب استهزاء لـلأقوام الأجنبية». قال وائي تيكر: « الغـالب أن هذه العبارة كـانت مابين الآية الحادية والعشرين والثانية والعشرين من الباب السادس من كتاب عزرا، والدكتور أي كلارك يصدق جستن» انتهى.

فظهر من هذه العبارات أن جستن الشهير ادّعى أن اليهود أسقطوا عدة بشارات من الكتب المقدسة بالتحريف- تحريف بالنقصان- وأيد أرينيوس دعوى جستن بعدما ذكر عبارة إرميا، وصدق كريب في حاشية كتاب أرينيوس، وكذا صدق سلبرجيس في حاشية كتاب جستن هذه الدعوى، وكذا صدقها وائي تيكر، وأي كلارك( وواتس) أيضاً، والظن الغالب أن هذه العبارات كانت موجودة في النسخة العبرانية والترجمة السبعينية، فيلزم أحد الأمرين: إما أن يكون جستن صادقاً في دعواه أو كاذباً فإن كان صادقاً ثبت ماقلنا وثبت تحريف اليهود، وإن كان كاذباً فوأسفي أن ذلك أعظم قدمائهم كان كذاباً اخترع من جانبه عبارات وادّعى أنها أجزاء كلام اللّه ( فتحريف أحد الفريقين لازم] [١].

وقال الدكتور محمد وزير خان:[ إن كليمنس في أي زمان كان؟

قال القسيس فرنج: في آخر القرن الثاني.

قال الدكتور خان: إن نقل كليمنس فقرتين من كتاب المشاهدات يثبت منه هذا القدر فقط: أن كليمنس سلّم في آخر القرن الثاني أن كتاب المشاهدات من تصنيف يوحنا، لكن سنده لم يوجد قبل زمانه، مع أن التواتر اللفظي لجميع الكتاب لايثبت من فقرتين، وترتولين وغيره كانوا بعد كليمنس، وقال كيس برسبتر الروم الذى كان في سنة ٢١٢م ( وعصره قريب من عصر كليمنس) أنه تصنيف سرن تهسن الملحد. وصرح (ديونيسيش) أن بعض القدماء قال: إنه كان من كلام سرن تهسن الملحد»][٢].

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة اللّه والقسيس فندر ط١ سنة ١٤٠٥هـ من ٢٤٦-٢٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٤ ، ٢٧٥.

ويشغل نص المناظرة ١٥٤ صفحة وكان يساعد كل واحدٍ من المتناظرين بعض من رجال دينه وانتهت المناظرة بهزيمة القسيس فندر بعد اعترافه بجملة من الأغلاط في التوراة والإنجيل منها من حيث العدد ومما جاء في هذا النص: قال الدكتور محمد وزيرخان – وهو من مساعدي الشيخ رحمة الله –:[ أن اختلافات العبارة عند البعض مئة ألف وخمسون ألفًا، وعند البعض ثلاثون ألفًا، فمختاركم أي قول من هذين القولين؟.

قال القسيس فرنج: التحقيق أن هذه الاختلافات أربعون ألفًا ][(١)].

والمسيحيون ينكرون التحريف ويسمونه سهواً مثال ذلك ماجاء في المناظرة: قال الشيخ رحمة الله: [إن سهو الكاتب عندنا: ( مثلاً) أن يريد شخص كتابة( اللام) فيكتب سهواً بدلها ( الميم)، أويريد أن يكتب (الميم) فيكتب سهواً بدلها ( النون).

فهل المراد بالسهو عندكم أيضاً هذا السهو، أو هذه الأمور ( التحريف القصدي وغير القصدي، بالزيادة والحذف والتبديل) أيضاً داخلة فيه: أن يُدرج أحد عبارة الحاشية في المتن، أويزيد قصداً من جانبه الجمل أو يسقطها؟.

قال المدون الآبادي: اضطرب القسيس من سماع لفظ الجمل، لعله فهم الجملة بمعنى مجموع الكتاب، وقال: لاتقولوا الجمل، بل قولوا أن يزيد آيات أو يسقطها.

قال الشيخ رحمة الله: إن إطلاق الجملة عندنا يجيء على مثل زيد قائم، لكي أترك هذا اللفظ الآن، وأقول كما أمرتم: أويزيد قصداً من جانبه الآيات، أو يسقطها، أو يلحق شيئًا بطريق التفسير، أو يبدل لفظًا بلفظ آخر؟.

قال القسيس فندر: إن هذه الأشياء كلها داخلة عندنا في سهو الكاتب، سواء كان وقوعها قصداً أو سهواً، أو جهلاً أو غلطًا، لكن مثل هذا السهو يوجد في الآيات في خمس أوست، وفي الألفاظ في مواضع كثيرة.

قال الشيخ رحمة الله: لماكان زيادة الآيات، وإسقاطها، وتبديل بعض الألفاظ

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر ص ٢٦٠.

ببعض، سواء كانت هذه الأشياء قصداً أو سهواً داخلة في سهو الكاتب (على اصطلاحكم)، ووقع مثل هذا السهو( المصطلح) في الكتب المقدسة، وهذا هو التحريف عندنا، ما بقي بيننا وبينكم ، إلا النزاع اللفظي فقط؛ لأن الأمر الذي ندّعيه أنه تحريف، تقولون: إنه سهو الكاتب( فالاختلاف في التعبير والاسم، لا في المعبر عنه والمسمى).

ونظيره أن رجلاً أعطى أربعة مساكين درهماً، وكان أحدهم رومياً، والثاني حبشياً، والثالث هندياً، والرابع عربياً، واتفقوا على أن يشتروا به شيئاً، فالرومي ذكر اسم العنب في لسانه، وأنكر الحبشي، وذكر هو أيضاً اسمه في لسانه، فأنكر الهندي وذكر هو اسمه في لسانه، فأنكر العربي وقال: لانشتري إلا عنباً.

فكما كان بين هؤلاء الأربعة نزاع لفظي،( لأجل عدم فهم كل منهم مقصود الآخر بسبب اختلاف، فقط) وكان مقصودهم في الحقيقة واحداً، فكذا حال سهو الكاتب والتحريف، ولأن الشيء الذي نسميه تحريفاً، تسمونه سهو الكاتب.

ثم قال الشيخ رحمة اللّه بالصوت الرفيع مخاطباً الناس:

إن النزاع الذي بيننا وبين القسيس كان نزاعاً لفظياً فقط، لأن التحريف الذي كنا ندعيه قَبِله القسيس، لكنه سماه سهو الكاتب ](١).

وحول هذه المسألة- أيضاً- قال الشيخ رحمة اللّه موجهاً القول إلى القسيس فندر: [أتسلمون أن سهواً من هذه السهوات التي هي مسلّمة عندكم وهي تحريفات بعينها عندنا، يوجد في جميع النسخ أم لا؟.

قال القسيس فندر: نعم مثل هذا السهو يوجد في جميع النسخ] (٢).

وذكر الدكتور محمد عبد القادر خليل- محقق المناظرة- أن عدد الأناجيل سبعون إنجيلاً.

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر من ص ٢٨٤ - ٢٨٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٩ .

ومما جرى فيه النقاش سند الكتب عند اليهود والنصارى، وقد رفض القسيس فندر وأعوانه الإجابة على طلب وجَّهَهُ الشيخ رحمة اللّه بإثبات صحة السند معلنين عجزهم عن ذلك، ومعلوم« أنه لم يتصل سند التوراة بموسى بل قد ضاعت نسخها، وفقدت مرتين أيام حكم الآشوريين وإحلال الوثنية في بيت المقدس ثم في أيام ( نبوخذ نصر) فنسخها مدونة من طريق جمعها من الأفواه التي تأخرت عن زمن موسى بكثير جمعها الأحبار من القصص والحكايات والروايات.

وثبت أن إنجيل يوحنا ليس من عمله بل من عمل أحد تلامذته وأن الكنيسة( أفسس) قد زادت فيه الإصحاح الحادي والعشرين وثبت شك المسيحيين كثير ماورود في إنجيل لوقا، وقال العالم سلسوس: إن المسيحيين قد غيروا إنجيلهم ثلاث أو أربع مرات .

وكان فاستس يشكو من عدم صحة نسبة تدوين الإنجيل إلى الحواريين يقول الدكتور محمد عبد القادر خليل: [وكان فاستس إمام فرقة ماني كيز يصيح في القرن الرابع بأن هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنَّفه مجهول ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم ليكون معتبراً، وقد آذى مؤلّفه المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بتأليفه الكتب المليئة بالأغلاط والتناقضات ](١).

ويشبه هذا قول هورن وهو فيما روى الدكتور محمد من قول هورن: [ الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة، ولاتوصلنا إلى أمر معيّن، والمشايخ القدماء الأولون صدّقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبِل الذين جاءوا من بعدهم كتاباتهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر تنقيحها بعد انقضاء المدة». ثم بين هورن اختلاف العلماء في زمان كتابة إنجيل متى مابين سنة ٣٧م إلى سنة ٦٤م، وزمان كتابة إنجيل مرقس مابين سنة ٥٦م إلى سنه ٦٥م، وزمان كتابة إنجيل لوقا مابين سنة ٥٣م إلى سنة ٦٤م، وزمان كتابة إنجيل يوحنا مابين سنة ٦٨م إلى سنة ٩٨م.

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر ص ٤٣٠.

وأما بالنسبة للرسالة العبرانية ورسالة بطرس الثانية ورسالة يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا، فكلها إسنادها إلى الحواريين بلاحجة، وقد كانت مشكوكة إلى سنة ٣٦٣م.

وقد ردت جميع كنائس العرب رسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا، ومازالت الكنائس السريانية ترد هذه الأسفار إلى الآن.

وقد طعن في هذه الأسفار هورن وراجرس والدكتور بلسن ويوسى بيس وديونيسيش وآرجن وفاستس وغيرهم.

وقد طلب الشيخ رحمة الله في مناظرته التقريرية والتحريرية لعلماء النصارى السند المتصل لبعض أسفار كتب العهدين فما استطاعوا، واعتذروا بأن الفتن والمصائب التي وقعت على المسيحيين خلال القرون الثلاثة الأولى تسببت في فقدان السند المتصل لأسفاركتبهم.

وبهذا لم يبق مجال للشك في أن أهل الكتاب لايوجد عندهم سند متصل لسفرمن أسفار كتب العهدين، وأنهم يقولون في أسانيد هذه الأسفار بالظن والتخمين وإن الظن لايغني من الحق شيئاً] (١).

وقد أحس أهل الكتاب الحرج من عدم وجود السند ولذا وجدنا أحد علمائهم يتصدى لهذا الأمر فيكتب كتاباً في ذلك قال عنه محقق المناظرة: [وقد كتب العالم نورتن كتاباً في الإسناد، وطبع هذا الكتاب في بلدة بوستن سنة ١٨٣٧م، فقال في المجلد الأول: « قال أكهارن في كتابه: إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال: إنها هي الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان سُوِّيَ للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وماكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب».

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر من ص ٤٣٠ - ٤٣٢.

فعلى قول أكهارن يكون هذا الإنجيل مخالفًا لجميع الأناجيل المروَّجة بعده: ومنها إنجيل متى ومرقس ولوقا، لكن هذه الأناجيل الثلاثة فاقت على غيرها؛ لأن هذه الثلاثة وإن كان يوجد فيها نقصان الأصل، لكنها وقعت في أيدي الذين جَبُروا نقصانها، فضموا إليها أحوالا أخرى، مثل بيان النسب وحال الولادة والبلوغ] (١).

ثم قال المحقق: [ويظهر من كلام أكهارن أربعة أمور:

١- أن الإنجيل الأصلي مفقود.

٢- أن الأناجيل الكثيرة فيها الروايات الصادقة والكاذبة.

٣- أن هذه الأناجيل وقع فيها التحريف واشتهر، بحيث صاح سلسوس بتبديل مضامينها.

٤- أنه لاتوجد إشارة إلى هذه الأناجيل الأربعة قبل نهاية القرن الثاني، وابتداء القرن الثالث](٢).

ولما كانت كلمة( التحريف) عند المسلمين و(غلط الكاتب واختلاف العبارة )عند المسيحيين مما جرى فيه جدل بين الشيخ رحمة اللّه والقسيس فندر وتبين منه أن مايسمونه( غلط الكاتب واختلاف العبارة )هو مايسمى عند المسلمين (التحريف) فقدأوضح المحقق ذلك بقوله: [يستعمل المسيحيون في كتب الإسناد لفظتي( أراته) و(يريوس ريد نك) وفي بيان المقصود بهاتين اللفظتين قال هورن: الفرق الحسن بين(أراته) يعني غلط الكاتب وبين( ويريوس ريدنك) يعني اختلاف العبارة، ما قال(ميكايلس): إنه إذا وجد الاختلاف بين عبارتين فأكثر فلا تكون الصادقة إلا واحدة، وماعدا العبارة الواحدة إما أن يكون تحريفًا قصديًا أو سهو الكاتب. لكن تمييز الصحيحة عن غيرها عسير غالبًا، فإن بقي شك فيطلق على الكل( اختلاف العبارة)، وإذا عُلم صراحة أن الكاتب كتب هاهناكذبًا فيقال: إنه( غلط الكاتب).

وبهذا يظهر أن مايطلق عليه المحققون المسيحيون( اختلاف العبارة) هو مايطلق

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر ص ٤٣٢، ٤٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٤.٤٣٥.

عليه المسلمون اسم( التحريف)، لأن التحريف يشمل كل تغيير للكلام في مبناه بالزيادة أو النقص أو التبديل، عن قصد أو جهل، فمن أقر بوقوع اختلاف العبارة بالمعنى المذكور في أسفار كتب العهدين، وجب عليه الاعتراف بالتحريف المصطلح عند المسلمين.

وقد حقق( ميل) أن اختلافات العبارة في الإنجيل ثلاثون ألفًا وحقق كريسباخ أنها مئة ألف وخمسون ألفًا، وفي المجلد التاسع عشر من دائرة المعارف الإنسانية البريطانية أن( وتيس تين) جمع مثل هذه الاختلافات أزيد من مليون، وأما المحقق شولز فلم يذكر عددها ) (١).

وذكر هورن للتحريف أسبابًا أربعة هي:

١- قلة الكاتب وسهوه.

٢- نصان النسخة المنقولة.

٣- لتصحيح الغيالي والإصلاح.

٤- التحريف القصدي سواء كان المحرِّف من أهل الديانة أو من المبتدعين، وأكثر المبتدعين القدماء تحريفًا هو( مارسيون)، ولم يستحق الملامةَ أحد أكثر منه بسبب هذه الحركة الشنيعة.

وفي هذا الأخير قال: [وهذا الأمر أيضًا محقق وهو أن بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانه والدين، وكانت هذه التحريفات تُرجَّح بعدهم لتُؤيد بها مسألة مقبولة أو يدفع بها الاعتراض الوارد عليها] (٢).

وهذا يعني أن التحريف يقع من المسيحيين ومن أعدائهم، وهذا يجعل الفساد فيه أظهر، وفي كتاب المناظرة والتعليقات عليها تحدث المعلق عن الاختلاف في كتب العهدين والأغلاط في التوراة والأناجيل والتحريف والتبديل والنقصان والزيادة في ٩٠ صفحة.

---

(١) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٩ .

# كتاب إظهار الحـق

وكان الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني - فارس المناظرة المشار إليها سلفاً- قد اطلع على كتاب ( ميزان الحق) الذي ألفه القسيس فندر وطعن فيه على الإسلام ورسول الإسلام، وأشاد بالتوراة والإنجيل فكتب الشيخ رحمة الله كتاباً سماه(إظهار الحق) رد فيه شبهات هؤلاء المشبهين من النصارى.

وقد استعان الدكتور محمد عبد القادر خليل بهذا الكتاب واستفاد منه كثيراً وهذا ظاهر عنده، وليس فيه من حرج لكونه لم يدع الكلام لنفسه ولم ينكر فضل الشيخ رحمة الله وبخاصة أنه بصدد الحديث عن مناظرة الشيخ رحمة الله فارسها.

في هذا الكتاب (إظهار الحق) تحدث الشيخ عن التحريف في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى فقال في صدر حديثه: [ وهو- يعني التحريف- قسمان لفظي ومعنوي، ولانزاع بيننا وبين المسيحين في القسم الثاني لأنهم يسلمون كلهم بصدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود، وأن علماء البروتستانت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رمياً شديداً فلا احتياج إلى إثباته. بقي القسم الأول، وقد أنكره علماء البروتستانت في الظاهر إنكاراً بالغاً لتغليط جهال المسلمين وأوردوا أدلة مموهة مزورة في رسائلهم ليوقعوا الناظرين في الشك، فهو محتاج إلى الإثبات، فأريد إثباته في كتابي هذا بعون خالق الأرض والسموات، وأقول: إن التحريف اللفظي بجميع أقسامه أعني بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت في الكتب المذكورة، وأورد هذه الأقسام الثلاثة على سبيل الترتيب في ثلاثة مقاصد] (١).

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمة الله- تحقيق عمر الدسوقي جـ ١ ص ٣٣٧.

وهذه المقاصد الثلاثة هي:

١- في إثبات التحريف اللفظي بالتبديل.

٢- في إثبات التحريف بالزيادة.

٣- في إثبات التحريف بالنقصان.

وقد أخذ في بسط القول فيها بسطاً شافياً كافياً حيث عرض فيه كل مامرت به الكتب المقدسة من دراسة ونظر وإثبات وإبطال ورفض وقبول من علماء النصارى أنفسهم.

وتحدث الشيخ رحمة اللّه عن النسخ فعرفه ثم ذكر أمثلة لما لايجوز فيه النسخ وما يجوز فيه وذكر ممالم ينسخ من الكتب السماوية القديمة توحيد اللّه والأدعية والقصص وماإلى ذلك إلا أنه استثنى من القصص ماكان باطلاً أصلاً كاتهام الأنبياء- عليهم السلام- بالزنا والردة، وماإلى ذلك مما ورد في تلك الكتب، فإن مثل هذه القصص باطلةٌ أصلاً والنسخ لايكون إلا فيما كان ثابتاً فقضى اللّه- سبحانه وتعالى- بتبديله وهو قضاءٌ سابق منه تبارك وتعالى وثابت في عمله. وهذه المسألة قد تحدث فيها الشيخ في موضع آخر من هذا الكتاب.

ومما جاءفي حديثه عن نسخ القرآن الكريم ما في الكتب القديمة قوله معقباً على ذكر القصص الباطلة التي أُتهم فيها الأنبياء- عليهم السلام- قوله: [ إن هذه القصص وأمثالها باطلة عندنا ولانقول: إنها منسوخة والأمور القطعية العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام الوقتية قبل أوقاتها والأحكام المطلقة التي يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متحددة لاتكون هذه الأشياء كلها منسوخة لتلزمها الشناعة، وكذا لاتكون الأدعية منسوخة فلا يكون الزبور الذي هو أدعية منسوخاً بالمعنى المصطلح عندنا؛ ولانقول قطعاً: إنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحب ميزان الحق وقال: إن هذا مصرح به في القرآن والتفاسير، وإنما منعنا عن استعمال الزبور والكتب الأخرى من العهد العتيق والجديد لأنها مشكوك فيها يقيناً بسبب عدم أسانيدها المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظي فيها بجميع أقسامه كما عرفت في الباب الثاني، ويجوز النسخ في غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ فنعترف بأن بعض أحكام التوراة والإنجيل من الأحكام التي هي من جنس الصالحة للنسخ منسوخة في الشريعة المحمدية

ولانقول:إن كل حكم من أحكامهما منسوخة، كيف وأن بعض أحكام التوراة لم تنسخ يقيناً مثل: حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنى واللواطة والسرقة وشهادة الزور والخيانة في مال الجار وعرضه ووجوب إكرام الأبوين، وحرمة نكاح الأمهات والبنات والعمات والخالات، وجمع الأختين وغيرهما من الأحكام الكثيرة(١)، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ يقيناً؛ مثلاً وقع في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس هكذا ٢٩« فقال عيسى وهو يحاوره: إن أول الأحكام قوله: اسمع يا إسرائيل فإن الرب إلهنارب واحد»٣٠« وأن تحب الرب إلهك بقلبك كله وروحك كله وإدراكك كله وقواك كلها هذا هو الحكم الأول»٣١« والثاني مثله وهو أن تحب جارك كنفسك وليس حكم آخر أكبر من هذين». فهذان الحكمان باقيان في شريعتنا على أوكد وجة، وليسا بمنسوخين والنسخ ليس بمختص بشريعتنا بل وجد في الشرائع السابقة أيضاً بالكثرة بكلا قسميه أعني النسخ الذي يكون في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق والنسخ الذي يكون في شريعة نبي لحكم آخر من شريعة هذا النبي، وأمثلة القسمين في العهد العتيق والجديد غير محصورة] (٢).

وكانت الهند في أيام الاستعمار الإنجليزي مسرحاً لحملات عنيفة واسعة الانتشار، وكان القسيس فندر مؤلف كتاب ( ميزان الحق) من أنشط المنصِّرين في الهند، وكتب له أن يلقى نجاحاً جعله يزيد من نشاطه.

وكان الشيخ رحمة اللّه يراقب عمليات التنصير- التبشير كما يسمونها- ويألم لعدم وجود من يستطيع الوقوف في وجه أولئك الذين تحتضنهم كبرى دول العالم وأقواها إذ ذاك وهي بريطانية.

وكان كتاب (ميزان الحق) قد نشر في الهند وسواها فعزم الشيخ رحمة اللّه على الوقوف في وجه رأس هؤلاء الكافرين في الهند وهو القسيس فندر فأخذ يعد نفسه لذلك.

ولما كانت المصادر التي يستطيع الاستعانه بها غير عربية فقد جد في البحث عن معين له حتى وجد طُلبتَه عند الدكتور محمد وزيرخان الذي درس الطب في بريطانيا حتى حصل على الدكتوراه وأجاد اللغة الإنجليزية ودرس اليونانية وكان له اهتمام

(١) انظر الآيتين ٢٣ ، ٢٤ من سورة النساء.
(٢) إظهار الحق للشيخ رحمة الله جـ ١ ص ٥١٢ ، ٥١٣.

بما يكتب عن الأديان بشكل عام، فلما استعان به الشيخ رحمة الله وجد في المصادر التي جلبها معه من أوربة خير عون له وللشيخ.

وحين وجد الشيخ أنه قد استكمل عدته طلب المناظرة وكان القسيس فندر يتحاشى مثل هذا الموقف غير أنه أمام إلحاح الشيخ وتحديه قبل المناظرة وهو على يقين من الفوز بدليل أن الشرط بينهما أن المغلوب يدخل في دين الآخر وانتهت المناظرة بهزيمة فندر على مشهد من جماهير العلماء والساسة من المسلمين وعامة الهنود، ومن النصارى ساسة وعلماء.

وكان من ثمار تلك المناظرة تراجع حملة التنصير وانكسار حدتها. كما أن من ثمارها هذا الكتاب (إظهار الحق) الذي يعد أفضل مرجع في هذا الموضوع.

وقد تُرجم إلى أكثر من لغة، ونشر بالعربية أكثر من مرة، منها الطبعة القطرية التي في أيدينا وقد صُدِّرت بكلمة طيبة للشيخ عبد اللّه بن إبراهيم الأنصاري- رحمه اللّه- الذي قام على نشر كثير من كتب التراث النافعة.

ويقع هذا الكتاب في مجلدين من القطع المتوسط عدد صفحاتهما ١٢٢٨ صفحة، وقد أثنى الشيخ الأنصاري على هذا الكتاب ومؤلفه ثناءً طيباً منبهاً على مايضمره أعداء الإسلام والمسلمين من كيد ومكر وخداع.

وللشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي مقدمة جيدة كتبها لهذا الكتاب أثنى فيها عليه وعلى صاحبه ثم ذكر أنه امتاز بخمس مزايا هي:

[١- الأولى أن المؤلف آثر خطة الهجوم على خطة الدفاع التي لاتزال أقوى وأكثر تأثيراً في النفس.

٢- الثانية أن المؤلف تجنب البحوث الدقيقة التي يتسع فيها مجال الجدال، ويكثر فيها القيل والقال، بل اعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة، والبديهيات الجلية، التي لاتقبل التأويل، واستخرج منها نتائج كنتائج رياضية لا يختلف فيها اثنان.

٣- تعرض المؤلف فيه لمغالطات النصارى وتمويههم، ورد عليها في أسلوب سائغ مقنع، وتعرض لإثبات النسخ ووقوعه في الديانتين السابقتين وصحفهما.

٤- وضع المؤلف العلامة حقيقة عقيدة التثليث في النصرانية على محل العقل

ونقدها نقداً علمياً يستسيغه كل من رزق العقل السليم والذوق الصحيح.

٥- لم يكتفِ المؤلف بنقد المسيحية وعقائدها وصحفها، بل أضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وإثبات أنه كلام اللّه، لاشك في ذلك] [١].

أما الأستاذ عمر الدسوقي- محقق الكتاب - فقد وصفه بقوله: [ ألف هذا الكتاب (إظهار الحق) وجعل كل بحث في باب مستقل، وزاد باباً سادساً تناول فيه( العهدين العتيق والجديد).

وقد تناول في الكلام على العهدين العتيق والجديد كل باب من أبوابهما واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلمائهم على تبيان المطعون فيه من الأبواب والآيات، وبين بالحجج الدامغة أنه لايوجد لدي علمائهم في كلتا الديانتين سند متصل لأي كتاب من كتب العهدين، ثم تناول بعد ذلك مافي كتب العهدين من الاختلاف والأغلاط.

وبين أن ادعاءهم بأن هذه الكتب الموجودة بين أيدينا إلهامية ادعاء باطل وساق برهاناًعلى هذا البطلان سبعة عشر وجهاً لكثرة مابها من أغلاط وتحريف واختلافات عجز مفسروهم عن التوفيق بينها. ثم إن الكاثوليك والبروتستانت يختلفان في الاعتراف ببعض هذه الكتب، فما يعترف به الكاثوليك ينكره البرو تستانت والعكس بالعكس.

وعقد باباً خاصاً وهو الباب الثاني لإثبات التحريف في كتب العهدين القديم والجديد مصداقاً لقوله تعالى:﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾.وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد، وكان يأتي هذا التحريف أحياناً بالزيادة وأحياناً بالنقصان، وأحياناً بالتبديل اللفظي. وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهداً. كما ساق على التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهداً واكتفى بهذا القدر مخافة الإطالة.

أما التحريف بالنقص فقد ساق عليه عشرين شاهداً، كما أورد عدة مغالطات للمبشرين المسيحيين الثقات من المفسرين والمؤرخين ليزيد حججه نصاعة وقوة، وبلغت هذه الاستدلالات من أقوالهم ثلاثين قولاً، ممايدل على سعة اطلاع، وتتبع حريص لإقامة الحجة عليهم من كتبهم.

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ١٤ ، ١٥.

وفي ختام هذا الباب أورد أموراً يزول بها استبعاد التحريف وعقد الباب الثالث لإثبات النسخ، وأثبت بالأدلة القاطعة نسخ بعض الأحكام في الشريعتين الموسوية والمسيحية، ثم برهن على أن الأحكام العملية للتوراة نسختها شريعة عيسى وأن لفظ النسخ موجود في كلام قديسيهم... إلى غير ذلك من الأمور المهمة، وحاول أن يثبت أن النسخ ليس وقفاً على الدين الإسلامي ولكنه كان عند اليهود والنصارى كذلك.

وعالج في الباب الرابع قضية العقيدة المسيحية، وهي قضية التثليث، وساق من الحجج على بطلانه ماكان جديراً أن يلجم مناظريه لو أنهم ثبتوا أمامه في المناظرة.

وأنهى الجزء الأول وهو بصدد الإتيات بحججه الدامغة على بطلان عقيدة التثليث. وإن المرء ليشعر وهو يقرأ هذا الكتاب بأن الرجل عميق الإيمان بدينه، واسع الاطلاع على ديانات غيره، متمكن كل التمكن من موضوعه، وأن له عارضة قوية في الجدل وَسَوْق الحجه، وأنه كان يعرف مواطن الضعف التي يتهجم فيها على معارضيه، وأنه قرأ العهدين القديم والجديد كلمة كلمة، وقرأ كل ما كتبه عنهما علماء اليهود والمسيحية وكان من أبلغ حججه تلك الاستشهادات التي أوردها من أقوال مؤرخيهم ومفسريهم على تأييد قضيته] (١).

ومما يحسن التنبيه عليه أن الكتاب قد اشتمل على معالجة النقاط الخمس التي أعدت لتكون موضوع المناظرة وهي: [التحريف، والنسخ، والتثليث، وحقيقة القرآن، ونبوة محمد ، ﷺ ](٢).

غير أن القسيس فندر ومعاونيه من النصارى وأشهرهم (فرنج) قد انهزموا بعد المناظرة في مسألتيْ النسخ والتحريف فظهرت فضيحتهم وانكشفت سوأتهم، ثم وفق اللّه الشيخ رحمة اللّه إلى تأليف هذا الكتاب في المسائل الخمس إلى ماأضافه إليها مما حدثناك فيه سلفاً.

وأيسر دليل على أن هذا الكتاب قد عرى المسيحية والمسيحيين تعرية لايمكن سترها قيامهم بجمع ما أمكن جمعه من نسخ هذا الكتاب بعد طبعه وإحراقها، غير أن ذلك لم يقف دون انتشار الكتاب وترجمته إلى اللغات الأخرى كما أسلفنا.

(١) إظهار الحق من ص ١٣ – ١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٣.

ولأهمية هذا الكتاب وتفرده في بابه قدمنا هذه النبذة الموجزة عنه.

ومما يحسن تجديد التنبيه عليه أن المفكرين والعلماء من أهل الكتاب في العصر الحديث يحرصون على إخفاء كثير من المعلومات التي قد تثير العدل حول كثير من المسائل في الديانتين اليهودية والمسيحية، كما كان يفعل أسلافهم ، ومن ذلك مايسمى في هذا العصر بـ (لفائف البحر الميت).

وهي لفائف عثر عليها في بعض كهوف البحر الميت بين عامي (١٣٦٨.١٣٧٦هـ) (١٩٤٧، ١٩٥٦م) وأصولها في حوزة الدولة اليهودية ، وقد منعت الباحثين من الاطلاع عليها حتى هددت جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية بنشر مافي حوزتها من صور تلك اللفائف ، فاضطرت الدولة اليهودية إلى السماح للباحثين بالاطلاع عليها وذلك في (١٤١٢/٤/٢٠ هـ - ١٩٩١/١٠/٢٧م)[1] ولم يظهر بعد مافي تلك اللفائف ، غير أن توقعات العلماء تفيد بأنها سوف تكشف عن أشياء قد تكون مما لايرتاح إلى إذاعته أهل الكتاب.

فإن ترك الباحثون وشأنهم فقد تبين أشياء كانت مكتوبة أو أصول صحيحة لما حرف مما هو في أيدي الناس.

ولن يكون في مقدور أحد الجزم بشيء من ذلك حتى تذاع نتائج البحث إن سُمح لها بذلك.



(١) عن القسم العربي بإذاعة لندن ، نشرة الأخبار صباح الإثنين ١٤١٢/٤/٢١هـ، ١٩٩١/١٠/٢٨م.

# البشارة بمحمد ﷺ فيما قبل نزول القرآن

وممن دار حولهم النقاش من لم تبلغهم دعوة محمد- عليه الصلاة والسلام- والواقع أن القول فيهم محتاج إلى شيء من التفصيل قد لايحتمله مثل هذا المقام لكننامع ذلك نقول: جاء في الكتاب العزيز على لسان عيسى- عليه السلام-: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١).

وقد بسط ابن كثير- رحمة الله- القول في ذلك فقال:[يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد. فعيسى- عليه السلام- هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لارسالة بعده ولانبوة، وما أحسن ماأورد البخاري الحديث الذي قال فيه :حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:( إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحوالله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب) ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه.

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: ( أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة والتوبة والملحمة)•

ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة ،به، وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟

---

(١) الصف / ٦.

أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ قال ابن عباس: مابعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه. وقال محمد ابن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال:« دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام» وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ( إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين)، وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو النصر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أسامة قال: قلت يارسول الله ماكان بدء أمرك.

قال:( دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له الشام)، وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم عبد اللهّ بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال: فأين هم قالا: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلَّم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لاتسجد للملك. قال إنا لانسجد إلاللّه عز وجل، قال وماذاك، قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لانسجد لأحد إلاالله عزوجل وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمروبن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسي ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه، قال: نقول كما قال الله عزوجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم

يعترضها ولد، قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله مايزيدون على الذي نقول فيه مايساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه؛ وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته ، وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة- رضي الله عنهما- وموضوع ذلك كتاب السيرة، والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم ولهذا قالوا: أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال:( دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأت) أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك، والإرهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه](١).

وقال سيد قطب: [ في هذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة، يسلم بعضها إلى بعض، وهي متماسكة في حقيقتها، واحدة في اتجاهها، ممتدة في السماء إلى الأرض، حلقه بعد حلقة في السلسلة الطويلة المتصلة... وهي الصورة اللائقة بعمل الله ومنهجه، فهو منهج واحد في أصله، متعدد في صوره، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها، ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلي والشعوري، فتجيء الحلقة الأخيرة في الصورة الأخيرة كاملة شاملة، تخاطب العقل الراشد، في ضوء تلك التجارب، وتطلق هذا العقل يعمل في حدوده، داخل نطاق المنهج الموسوم للإنسان في جملته المتفق مع طاقاته واستعداداته.

وبشارة المسيح بأحمد ثابته بهذا النص، سواء تضمنت الأناجيل المتداوله هذه البشارة أم لم تتضمنها. فثابت أن الطريقة التي كتبت بها هذه الأناجيل والظروف التي أحاطت بها لاتجعلها هي المرجع في هذا الشأن.

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

وقد قرئ القرآن على اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وفيه: ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾.. وأقر بعض المخلصين من علمائهم الذي أسلموا كعبد الله بن سلام بهذه الحقيقة، التي كانوا يتواصون بتكتمها!.

كما أنه ثابت من الروايات التاريخية أن اليهود كانوا ينتظرون. مبعث نبي قد أظلهم زمانه، وكذلك بعض الموحدين المنعزلين من أحبار النصارى في الجزيرة العربية. ولكن اليهود كانوا يريدونه منهم. فلما شاء الله أن يكون من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم، كرهوا هذا وحاربوه](1).

ولابن كثير على قوله تبارك وتعالى [﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم. كما روى الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن الجزيرة عن أبي صخر العقيلي حدثنا رجل من الأعراب قال " جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت : لألقين هذا الرجل فلأسمعنّ منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله ﷺ: (أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟)، فقال برأسه هكذا، أي : لا فقال ابنه: والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال:(أقيموا اليهودي عن أخيكم)، ثم تولى كفنه والصلاة عليه. وهذا حديث جيد قوى له شاهد في الصحيح عن أنس](2).

وذكر الإمام ابن القيم(3) أن ذكر محمد ﷺ بصفاته في كتب أهل الكتاب أبلغ من ذكر اسمه وذلك أن الصفات لايمكن أن تجتمع كلها في شخصٍ بعينه سوى ذلك

---

(1) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٥٥٦ ، ٣٥٥٧.

(2) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٥١ .

(3) انظر كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى – لابن قيم الجوزية – طبعة جديدة سنة ١٤٠٤ هـ-١٩٨٣ م – من ص ٤٢ – ٤٦.

الموصوف وهو محمد ﷺ أما الاسم فإنه قديسمى به غيره وقد يخرج من يسمى باسمه ويدعي أنه هو بخلاف الأوصاف ثم قال في الاستدلال على وجود ذكره في كتبهم:

[وإذا عرف هذا فالعلم بأنه ﷺ مذكور في الكتب المتقدمة يعرف من وجوه متعددة « أحدهما » إخبار من قدثبتت نبوته قطعاً بأنه مذكور عندهم في كتبهم، فقد أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه، إذ تكذيبه والحالة هذه ممتنع لذاته، هذا لو لم يعلم ذلك إلا من مجرد خبره فكيف إذا تطابقت الأدلة على صحة ما أخبر به « الوجه الثاني» أنه جعل الأخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته، وهذا يستحيل أن يصدرإلا من واثق كل الوثوق بذلك وأنه على يقين جازم به« الثالث» أن المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال.« الرابع» أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وأنه نبي آخر غيره، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب البهت.« الخامس» أن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بأنه هو هو بعينه، وأنه عازم على عدواته ما بقي، كما تقدم.« السادس» أن إخبار النبي ﷺ بأنه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد إخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم وقصص الأنبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء، وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم، وتلك الإخبارات أكثر من أن تحصى، ولم يكذبوه يوماً واحداً في شيء منها، وكانوا أحرص شيء على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أوسهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه، فلم يقل أحد منهم يوماً من الدهر: إنه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره« السابع» أنه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم وأخبر به لأعدائه من أهل الكذب وأخبر به لاتباعه. فلو كان هذا باطلاً لاصحة

له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك وتسليطاً لأهل الكتاب على الإنكار وتسليطاً لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه، وذلك بنقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلاً على صدقه، وهذا لايصدر من عاقل ولامجنون. فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به وإن لم يعلم وجوده من غير جهة أخباره، فكيف وقد علم وجود ما أخبر به؟!« الثامن» أنه لو أنهم لم يعلموا بشارة الأنبياء به وإخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لايكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبرته؟ إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون وصل إلى المتأخرين وأحاطوا به علماً وهذا مما يعلم بالاضطرار، فكم من قول قد قاله موسى وعيسى ولاعلم لليهود والنصارى به، فإذا أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه.« التاسع» أنه يمكن أن يكون في نسخ غير هذه النسخ التي بأيديهم فأزبل من بعضها ونسخت هذه ممأزيل منه)(١).

وقد عمد ابن القيم إلى استخلاص ما يتصل بصفة محمد ﷺ والبشارة به معالجاً تلك النصوص ببيان أقوال اليهود والنصارى فيها، ثم أقوال المسلمين، وساق ذلك في تسعة وثلاثين وجهاً أحدها مكرر نقتبس منها ومن صدور طوالها ما يمثل القول وإن لم يغن عن استكمال ماورد عنده- رحمه اللّه- قال ابن القيم:

[« الوجه الأول» قوله تعالى في التوراة:« سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ويقول لهم مآمره به والذي لايقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه»، فهذا النص ممالا يمكن أحداً منهم جحُده وإنكاره، ولكن لأهل الكتاب فيه أربعة طرق :أحدها: حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى.

وأما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق، أحدها: أنه على حذف أداة الاستفهام، والتقدير أءقيم لبني إسرائيل نبياً من أخوتهم أي لاأفعل هذا، فهو استفهام إنكاري حذفت منه أداه الاستفهام. الثاني: أنه خبر ووعد ولكن المراد به شمول النبي فإنه من بني

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - لابن قيم الجوزية ص ٤٧ ، ٤٨.

إسرائيل ، والبشارة إنما وقعت ببني من إخوتهم، وإخوة القوم هم بنوأبيهم، وهم بنوإسرائيل. الثالث: إنه نبي يبعثه اللّه في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن. وقال المسلمون: البشارة صريحة في النبي ﷺ العربي الأمي محمد بن عبد اللّه ﷺ لايحتمل غيره.

(الوجه الثاني) قال في التوراة في السفر الخامس:« أقبل اللّه من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران، ومعه ربوات الإظهار عن يمينه». وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة: نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ، فمجيئة من« سينا» وهو الجبل الذي كلم اللّه عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس،« وساعير» قرية معروفة هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوة المسيح.« فاران» هي مكة، وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلات الشمس وظهور ضوئها في الآفاق.

(الوجه الثالث) قال في التوراة في السفر الأول:« إن الملك ظهر لهاجر أم إسماعيل، فقال: ياهاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين؟، فلما شرحت له الحال قال: ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لايحصون كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا أسميه إسماعيل؛ لأن اللّه قد سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحش(١) للناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع». وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق، وإن كلمته العليا، وأيدي الخلق تحت يده.

(الوجه الرابع) قال في التوراة في السفر الخامس:« قال موسى لبني إسرائيل لاتطيعوا العرافين ولا المنجمين، فسيقيم لكم الرب نبيًا من إخوتكم مثلي ،فأ طيعوا ذلك النبي». ولا يجوز أن يكون هذا النبي الموعود به من أنفس بني إسرائيل لما تقدم أن أخوة القوم ليسوأنفسهم.

(الوجه الخامس) - وقد مد النفس فيه- فقال: ما في الإنجيل:« أن المسيح قال للحواريين: إني ذاهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق، لايتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعدّه

---

(١) فسر بالخشونة.

اللّه لكم يخبركم به» وفي إنجيل يوحنا:« الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به، ويكلمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب»، وفي موضع آخر « إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي؛ هو يعلمكم كل شئ»، وفي موضع آخر« إني سائل له أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد، وهو يعلمكم كل شيء».

وفي موضع آخر« ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل»، وقال أبو محمد بن قتيبة: وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة، وإنما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح عليه السلام في الإنجيل من الحواريين عدّة: «والفارقليط» بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد، أما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك، وهو في الإنجيل الحبشي« بن نعطيس» وفي موضع آخر« إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد ويتكلم بروح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً إني سآتيكم عن قريب»، وفي موضع آخر« ومن يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي وعنده يتحد المنزل، كلمتكم هذا لأني لست عندكم مقيماً، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلما قلت لكم، استودعتكم سلامي، لاتقلق قلوبكم ولايجزع فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمعنى الأب، فإن ثبت كلامي فيكم كان لكم كلما تريدون»، وفي موضع آخر« إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله روح الحق الذي من أبي يشهد لي، قلت لكم حتى إذا كان تؤمنوا ولاتشكوا فيه»، وفي موضع آخر« إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لاتستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكلما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب». وقال يوحنا قال المسيح: إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء، وقال متى قال المسيح:« ألم تروا أن الحجر الذي أخره البناءون صار أساً للزاوية من عند اللّه، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت اللّه سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ، وكل من سقط

هو عليه يمحقه». وقد اختلف في « الفارقليط» في لغتهم فذكروا فيه أقوالا ترجع إلى ثلاثة:

« أحدها» أنه الحامد والحماد أو الحمد كما تقدم، ورجحت طائفة هذا القول، وقال الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد، والدليل عليه قول يوشع« من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد، أي حمد جيد.

و «القول الثاني» وعليه أكثر النصارى أنه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص، قالوا: وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص، قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل ( فارق) قالوا و( ليط) كلمة تزاد، ومعناها كمعنى قول العرب: رجل هو، وحجر هو، وفرس هو، قالوا فكذلك معني( ليط) في السريانية، وقالت طائفة أخرى من النصارى: معناه بالسريانية المعزى، قالوا وكذلك هو في اللسان اليوناني، ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرهما، وأكثر النصارى على أنه المخلص، والمسيح نفسهُ يسمونه المخلص، وفي الإنجيل الذي بأيديهم أنه قال:« إنما أتيت لأخلص العالم، والنصارى يقولون في صلاتهم: لقد ولدت لنا مخلصاً».

( الوجه السادس) قول داود في الزبور:« سبحوا اللّه تسبيحاً جديداً وليفرح إسرائيل بخالقة، وبيوت صهيون من أجل أن اللّه اصطفى له أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين بالكرامة يسبحون على مضاجعهم، ويكبرون اللّه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، ولينتقم بهم من الأمم الذين لايعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال». وهذه الصفات إنما تنطبق على محمد وأمته، فهم الذين يكبرون اللّه بأصواتهم مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وعلى الأماكن العالية.

( الوجه السابع) قول داود:« ومن أجل هذا بارك اللّه عليك إلى الأبد فتقلد أيها الجبار السيف، لأن البهاءُ لوجهك، والحمد الغالب عليك، أركب كلمة الحق، وسبحت التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة والأمم يخرون تحتك». وليس متقلد السيف بعدداود من الأنبياء سوى محمد ﷺ، وهو الذي خرت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة: إما القبول، وإما الجزية، وإما السيف.

(الوجه الثامن) قول داود في مزمور آخر:« إن الله سبحانه أظهر من صهيون إكليلاً محموداً وضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة، ومحمود هو محمد- صلى الله عليه وسلم-، وقال في« صفته» ويجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وإنه لتخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب تأتيه ملوك الفرس وتسجد له، وتدين له الأمم بالطاعه والانقياد، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لاناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلى عليه في كل وقت ويبارك».

ولايشك عاقل تدبر أمور الممالك والنبوات وعرف سيرة محمد- صلى الله عليه وسلم- وسيرة أمته من بعده أن هذه الأوصاف لاتنطبق إلا عليه وعلى أمته لا على المسيح ولاعلى نبي غيره.

(الوجه التاسع) قوله في مزمور آخر:« لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قيذار مروجاً، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجو فمن أهل البوادي من الأمم سوى أمة محمد» ومن « قيذار» غير ولد إسماعيل أحد أجداده ﷺ؟! ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب؟! ومن هذا الذي دام ذكره إلى الأبد غيره؟!

(الوجه العاشر) قوله في مزمور آخر:« إن ربنا عظّم محموداً»؛ وفي مكان آخر إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً»، فقد نص داود على اسم محمد وبلده وأن كلمته قد عمت الأرض.

(الوجه الحادي عشر) قوله في الزبور لداود:« سيولد لك ولد أدعى له أباً ويدعى لي ابناً اللهم أبعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنه بشر»، وهذه أخبار عن المسيح ومحمد ﷺقبل ظهورهما بزمن طويل، يريد أبعث محمداً حتى يعلم الناس أن المسيح بشر ليس إلهاً، وأنه ابن البشر لا ابن خالق البشر، فبعث الله هادي الأمة وكاشف الغمة فبين للأمم حقيقة أمر المسيح وأنه عبد كريم ونبي مرسل؛ لاكما ادعته فيه النصارى ولاكما رمته به اليهود.

(الوجه الثاني عشر) قوله في نبوة أشعيا:« قيل لي:قم نظارا فانظر ماترى

تخبربه، قلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للبحر»، وصاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح وراكب الجمل هو محمد ﷺ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار، وبمحمد، ﷺ، سقطت أصنام بابل لا بالمسيح ولم يزل في إقليم بابل من يعبد الأوثان من عهد إبراهيم الخليل إلى أن سقطت بمحمد صلى اللّه عليه وسلم.

( الوجه الثالث عشر) قوله في نبوة أشعيا: إنه قال عن مكة:« ارفعي إلى ماحولك بصرك، فستبهجين وتفرحين من أجل أن اللّه تعالى يصير إليك ذخائر البحر، وتحج إليك عساكر الأمم، حتى تعم بك قطر الإبل المؤبلة، وتضيق أرضك عن المقطرات التي تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سبأ وتسير إليك أغنام فاران، وتخدمك رجل نباوت». يريد سدنة الكعبة وهم أولاد نبت ابن إسماعيل، قالوا: فهذه الصفات كلها حصلت لمكة، فإنها جملت إليها ذخائر البحر، وحج إليها عساكر الأمم، وسيق إليها أغنام فاران هدايا وأضاحي وقرابين، وضاقت الأرض عن قطرات الإبل المؤبلة الحاملة للناس وازوادهم، وأتاها أهل سبأ وهم أهل اليمن.

( الوجه الرابع عشر) قول أشعيا في مكة أيضاً:« وقد أقسمت بنفسي كقسمي أيام نوح إني أغرق الأرض بالطوفان إني لاأسخط عليك ولاأرفضك، وإن الجبال تزول وإن التلاع تنحط ورحمتي عليك لاتزول، ثم قال: يامسكينة، يامضطهدة! ها أناذا بان بالحسن حجارتك، ومزاينك بالجواهر، ومكلل باللؤلؤ سقفك وبالزبرجد أبوابك وتبعدين من الظلم فلا تخافي، ومن الضعف فلا تضعفي، وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك، وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها، ويسميك اللّه اسماً جديداً- يريد أنه سماها المسجد الحرام- فقومي فاشرقي فإنه قد دنا نورك وقار اللّه عليك، انظري بعينيك حولك، فإنهم مجتمعون يأتونك بنوك وبناتك عدوا فحينئذٍ تسرين وتزوهين، ويخاف عدوك، وليتسع قلبك، وكل غنم قيذار تجتمع إليك، وسادات نبارت يخدمونك»، « ونباوت» هم أولاد نبت بن إسماعيل.«وقيذار» جد النبي ﷺ، هو أخو نبت بن إسماعيل. ثم قال:« ونفتح أبوابك الليل والنهار لاتغلق، ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب».

( الوجه الخامس عشر) قوله أيضًا في مكة:« سري واهنزي أيتها العاقر التي لم تلد وانطقي بالتسبيح، وافرحي ولم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي» يعني بأهله بيت المقدس، ويعني بالعاقر مكة لأنها لم تلد قبل محمد النبي، صلى اللّه عليه وسلم، نبيًا، ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي، وقد ولد أنبياء كثيرًا.

( الوجه السادس عشر) قول أشعيا أيضًا لمكة شرفها اللّه:« إني أعطي البادية كرامة لبنان وبهاء الكتر مال» وهما الشام وبيت المقدس؛ يريد اجعل الكرامة التي كانت هناك بالوحي، في ظهور الأنبياء للبادية بالنبي، صلى اللّه عليه وسلم، وبالحج. ثم قال:« ويشق البادية مياه وسواق في الأرض الفلاة، ويكون بالفيافي والأماكن العطاش ينابيع ومياه، ويصير هناك محجة وطريق الحرم، لايمر به أنجاس الأمم، والجاهل به لايصل هناك، ولايكون بها سباع ولاأسد، ويكون هناك ممرّ المخلصين».

( الوجه السابع عشر) قول أشعيا أيضًا في كتابه عن الحرم:« إن الذئب والجمل فيه يرتعان معًا» إشارة إلى أمنه الذي خصه اللّه به دون بقاع الأرض، ولذلك سماه﴿البلد الأمين﴾، وقال:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾وقال يعدد نعمه على أهله:﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

( الوجه الثامن عشر) قول أشعيا أيضًا معلنًا باسم رسول اللّه، ﷺ« إني جعلت أمرك يامحمد بالحمد ياقدوس الرب اسمك موجود من الأبد»، فهل بقي بعد ذلك لزايغ مقال أو لطاعن مجال؟!. وقوله:« ياقدوس الرب» معناه: يا من طهره الرب وخلصه واصطفاه وقوله:« اسمك موجود من الأبد»: مطابق لقول داود في مزمور له« اسمك موجود قبل الشمس».

(الوجه التاسع عشر) قول أشعيا في ذكر الحجر الأسود قال:« الرب والسيد ها أنذا مؤسس بصهيون حجرًا في زاوية ركن منه، فمن كان مؤمنًا فلا يستعجلنا، واجعل العدل مثل الشاقول، والصدق مثل الميزان، فيهلك الذين ولعوا بالكذب»، فصهيون هي مكة عند أهل الكتاب، وهذا الحجر الأسود الذي بقبلة الملوك فمن دونهم، وهو مما

اختص به محمد وأمته.

(الوجه العشرون) تول أشعيا في موضع آخر: « إنه ستملأ البادية و المدن قصوراً إلى قيذار ومن رءوس الجبال،وينادونهم الذين يجعلون للّه الكرامة ويثنون بتسبيحه في البر والبحر» وقال:« ارفع علماً لجميع الأمم من بعيد، فيصفر بهم من أقصى الأرض فإذا هم سراع يأتون» وبنوا قيذار هم العرب؟ لأن قيذار هو ابن إسماعيل بإجماع الناس، والعلم الذي يرفع هو النبوة، والصفير بهم دعائهم من أقاصي الأرض إلى الحج فإذا هم سراع يأتون، وهذا مطابق لقوله عز وجل:( وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق).

( الوجه الحادي والعشرون) قول أشعيا في موضع آخر:« سأبعث من الصباقوماً يأتون من المشرق مجيبين أفواجاً كالصعيد كثرة، ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين»، « والصبا» يأتي من نحو مطلع الشمس، بعث اللّه سبحانه من هناك قوماً من أهل المشرق مجيبين بالتلبية كالتراب كثرة، وقوله:« ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين»، أما أن يرادبه الهرولة بالطواف والسعي، وأما أن يرادبه رجال قد كلت أرجلهم من المشي.

( الوجه الثاني والعشرون) قوله في كتاب أشعيا أيضاً:« عبدي وخيرتي ورضا نفسي، اقبض عليه روحي»، أو قال:« انزل عليه روحي»، فيظهر في الأمم عدلي ويوصي الأمم بالوصايا، لايضحك، ولايسمع صوته، يفتح العيون العمي العور، ويسمع الآذان الصم، ويحي القلوب الغلف، وما أعطيه لاأعطي غيره، لايضعف ولايغلب، ولايميل إلى اللهو، ولايسمع في الأسواق صوته، ركن للمتواضعين، وهو نور اللّه الذي لايطفي ولايخصم، حتى يثبت في الأرض حجتي، وينقطع به المعذرة، فمن وجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد اللّه ﷺ؟، فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبياً جمع هذه الأوصاف كلها- وهي باقية في أمته إلى يوم القيامة - غيره لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

( الوجه الثالث والعشرون) قوله في كتاب أشعيا:« أشكر حبيبي وابني أحمد»، فلهذا جاء ذكره في نبوة أشعيا أكثر من غيرها من النبوات، وأعلن أشعيا بذكره

ووصفه ووصف أمته، ونادى بها في نبوته سرًا وجهرا لمعرفته بقدره ومنزلته عند اللّه، وقال أشعيا أيضًا:« إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»، وهذا إفصاح باسمه، ﷺ، فليرنا أهل الكتاب نبيًا نصت الأنبياء على اسمه وصفته ونعته وسيرته وصفة أمته وأحوالهم سوى رسول اللّه ﷺ؟!.

(الوجه الرابع والعشرون) قول حبقوق في كتابه:« إن اللّه جاء من اليمن، والقدوس من جبال فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، وشاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزة، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام يمسح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي، فتز عزعت أسوار مدين، ولقد حاز المساعي القديمة»، ثم قال:« زجرك في الأنهار، واحتدام صوتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الأتقياء، وستنزع في قسيك أعراقًا، وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السيل، وتغيرت المهاري تغييراً رفعت أيديها وجلاً وخوفًا، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك تدوخ الأرض وتدوس الأمم، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك»، فمن رام صرف هذه البشارة عن محمد فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار، وإني بقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه وأزالت عن الحيران لبسه؟!! بل قد صرح باسمه مرتين، حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين.

(الوجه الخامس والعشرون) قوله في كتاب حزقيل يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد، ﷺ« وإن اللّه مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيًا، وينزل عليه كتابًا، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيذار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين ويوقعون بكم، وتكون عاقبتكم إلى النار»، فمن الذي أظهره اللّه على اليهود حتى قهرهم وأذلهم وأوقع بهم وأنزل عليه كتاباً؟! ومن هم بنو قيذار غير بني إسماعيل الذين خرجوا معه ومعهم جماعات الشعوب؟! ومن الذي نزلت عليه وعلى أمته الملائكة على خيل بيض يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين حتى عاينوها تقاتل بين يديه وعن يمينه وعن شماله، حتى غلب ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معهم غير فرسين ألف رجل مقنعين في الحديد معدودين من فرسان

العرب فأصبحوا بين قتيل وأسير ومنهزم!!!

(الوجه السادس والعشرون) قول دانيال وذكره باسمه الصريح، من غير تعريض ولاتلويح، وقال:« سينزع في قسيك أعراقًا، وترتوى السهام بأمرك يامحمد ارتواء»، وقال دانيال النبي أيضًا حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآهاثم أنسيها:« رأيت أيها الملك صنما عظيماً قائماً بين يديك، رأسه من ذهب،وساعداه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من الخزف، فبينا أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتًا ثم نسفته الرياح وذهب، وتحول ذلك الحجر إنسانًا عظيماً ملأ الأرض، فهذا ما رأيت أيها الملك»، فقال بخت نصر: صدقت فما تأويلها؟ قال: أنت الرأس الذي رأيته من الذهب، ويقوم بعدك ولدك وهو الذي رأيته من الفضة وهو دونك، وتقوم بعده مملكة أخرى هي دونه وهي تشبه النحاس، وبعدها مملكة قوية مثل الحديد، وأما الرجلان اللذان رآيت من خزف فمملكة ضعيفة، وأما الحجر العظيم الذي رأيته دق الصنم ففتته فهو نبي يقيمه إله الأرض والسماء بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلئ الأرض منه ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك أيها الملك. ومعلوم أن هذا منطبق على محمد بن عبد اللّه حذو القذة بالقذة، لاعلى المسيح ولاعلى نبي سواه، فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض من أمته، وسلطانه دائم إلى آخر الدهر، لايقدر أحد أن يزيله كما أزال سلطان اليهود من الأرض، وأزال سلطان النصارى عن خيار الأرض ووسطها فصار في بعض أطرافها وأزال سلطان المجوس وعباد الأصنام وسلطان الصابئين.

(الوجه السابع والعشرون) قول دانيال أيضاً:« سألت اللّه وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك في غيرهم، فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يادانيال، إن اللّه يقول: إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا علي وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم مسجدهم، وحرق كتبهم،

وكذلك يفعل من بعده بهم، وأنا غير راضٍ عنـهم، ولامقيلهم عثراتهم، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي فبشرها، فأوحي إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء وأزينه بالتقوى، واجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أُسري به إلي، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه، وأوحي إليه وأرقيه ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة، حافظًا لما استودع، صادقًا بما أمر، يدعو إلى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ ولاغليظ ولاصخاب بالأسواق، رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه». ثم سرد دانيال قضية رسول اللّه ﷺ مما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا. وهذه البشارة أيضًا عند اليهود والنصارى يقرأونها ويقرون بها، ويقولون لم يظهر صاحبها بعد.

(الوجه الثامن والعشرون) قال كعب وذكر صفة رسول اللّه ﷺ في التوراة ويريد بها التوراة التي هي أهم من التوراة المعينة« أحمد عبدي المختار لافظ ولاغليظ ولاصخاب في الأسواق، ولايجزي بالسيئة السيئة، يعفو ويغفر، مولده بكاء، وهجرته طابا، وملكه بالشام، وأمته الحمادون يحمدون اللّه على كل نجد، ويسبحونه في كل منزلة، ويوضئون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم في جو السماء، وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد بالنهار، ولهم دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كناسة».

(الوجه التاسع والعشرون) قال ابن أبي الزناد حدثني عبد الرحمن بن الحارث، عن عمربن حفص وكان من خيارالناس، قال كان عند أبي وجدى ورقة يتوارثونها قبل الإسلام فيها: اسم اللّه وقوله الحق، وقول الظالمين في تبار، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يتزرون على أوساطهم، ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحور إلى

أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة .

( الوجه الثلاثون) قال أشعيا وذكر قصة العرب فقال:« ويدوسون الأمم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي مؤترة من شدة الملحمة». وهذا إخبار عما حل بعبدة الأوثان من رسول الله، ﷺ وأصحابه يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع.

( الوجه الحادي والثلاثون) قوله في الإنجيل الذي بأيدى النصارى عن يوحنا «إن المسيح قال للحواريين: من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أني صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد لم يكن لهم ذنب، ولكن من الآن بطروا فلا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس، ولأنهم أبغضوني مجافا، فلو قد جاء المنجمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط فهو شهيد علي وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي، هذا قولي لكم لكيلا تشكوا إذا جاء»، «والمنجمنا» بالسريانية، وتفسيره بالرومية البارقليط، وهو بالعبرانية الحماد والمحمود والحمد كما تقدم.

( الوجه الثاني والثلاثون) قوله في الإنجيل أيضاً:« إن المسيح قال لليهود وتقولون: كنا في أيام آبائنا لم نساعدهم على قتل الأنبياء، فأتموا كيل آبائكم ياثعابين بني الأفاعي كيف لكم النجاة من عذاب النار»، « وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء تقتلون منهم وتصلبون وتجلدون، وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى، لتتكامل عليكم دماء، المؤمنين المهرقة على الأرض من دم هابيل الصالح إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه عند المذبح، إنه سيأتي جميع ما وصفت على هذه الأمة، ياأورشلم التي تقتل الأنبياء وترجم من بعث إليك، قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريخها تحت جناحها وكرهت أنت ذلك، سأقفر عليكم بيتكم، وأنا أقول: لاترونني الآن حتى يأتي من يقولون له: مبارك، يأتي على اسم الله»، فأخبرهم المسيح أنهم لابد أن يستوفوا الصاع الذي قدر لهم، وأنه سيقفر عليهم بيتهم أي يخليه منهم، وأنه يذهب عنهم فلا يرونه حتى يأتي المبارك الذي يأتي على اسم الله، فهو الذي انتقم بعده لدماء المؤمنين، وهذا نظير قوله في الموضع الآخر: إن خيراً لكم أن أذهب عنكم حتى يأتيكم الفارقليط فإنه

لايجيء مالم أذهب»، وقوله: أيضاً« ابن البشر ذاهب، والفارقليط من بعده» وفي موضع آخر « أنا أذهب وسيأتيك الفارقليط»، والفارقليط والمبارك الذي جاء بعد المسيح هو محمد ﷺ كما تقدم تقريره.

( الوجه الثالث والثلاثون) قوله في إنجيل متى:«وإنه لما حبس يحيى بن زكريا بعث تلاميذه إلى المسيح وقال لهم: قولوا له أنت أيل أم نتوتع غبرك؟ فقال المسيح: الحق اليقين أقول لكم: إنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا، وإن التوراة وكتب الأنبياء تتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى، وأما الآن فإن شئتم فاقبلوا فإن أيل مزمع أن يأتي، فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع» وهذه بشارة بمجيء الله سبحانه الذي هو « أيل» بالعبرانية، ومجيئه هو مجيء رسوله وكتابه ودينه، كما في التوراة:« جاء الله من طور سيناء». قال بعض عباد الصليب: إنما بشر بالياس النبي؛ وهذا لاينكر من جهل أمة الضلال وعباد خشبة الصليب التي نحتتها أيدي اليهود؛ فإن إلياس قد تقدم إرساله على المسيح بدهور متطاولة.

( الوجه الرابع والثلاثون) قوله في نبوة أرميا:« قبل أن أخلفك قد عظمتك من قبل أن أصورك في البطن، وأرسلتك وجعلتك نبياً للأجناس كلهم»، فهذه بشارة على لسان أرميا لمن بعده، وهو إما المسيح وإما محمد ﷺ لايعدوهما إلى غيرهما، ومحمد أولى بها لأن المسيح إنما كان نبياً لبني إسرائيل، كما قال تعالى:﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾والنصارى تقر بهذا؛ ولم يدع المسيح أنه رسول إلى جميع أجناس أهل الأرض، فإن الأنبياء من عهد موسى إلى المسيح إنما كانوا يبعثون إلى قومهم؛ بل عندهم في الإنجيل أن المسيح قال للحواريين:« لاتسلكوا إلى سبيل الأجناس، ولكن اختصروا على الغنم الرابضة من نسل إسرائيل»، وأما محمد بن عبد الله فهو الذي بعثه الله إلى جميع أجناس الأرض وطوائف بني آدم، وهذه البشارة مطابقة لقوله تعالى:﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ولقوله ﷺ« بعثت إلى الأسود والأحمر» وقوله ﷺ:« وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»، وقد اعترف النصارى بهذه البشارة ولم ينكروها؛ لكن قال بعض زعمائهم إنها بشارة بموسى بن عمران وإلياس واليسع، وإنهم سيأتون في آخر الزمان، وهذا من أعظم البهت والجرأة على الله والافتراء عليه؛ فإنه لايأتي من قد مات إلى يوم الميقات المعلوم.

( الوجه الخامس والثلاثون) قول المسيح في الإنجيل الذي بأيديهم وقد ضرب مثل الدنيا فقال:« كرجل اغترس كرماً وسيج حوله، وجعل فيه معصرة، وشيد فيه قصراً، ووكل به أعواناً، وتغرب عنه، فلما دنى أوان قطافه بعث عبده إلى أعوانه الموكلين بالكرم؛ ثم ضرب مثلاً للأنبياء ولنفسه، ثم للنبي الموكل آخراً بالكرم، ثم أفصح عن أمته فقال: وأقول لكم سيزاح عنكم ملك اللّه، وتعطاه الأمة المطيعة العاملة»، ثم ضرب لنبي هذه الأمة مثلاً بصخرة وقال:« من سقط على هذه الصخرة ينكسر ومن سقطت عليه ينهشم»، وهذه صفة محمد و من ناواه وحاربه من الناس لاتنطبق على أحد بعد المسيح سواه.

( الوجه السادس والثلاثون) قول أشعيا في صحفه :« لتفرح أرض البادية العطشي ولتبتهج البراري والفلوات لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان ومثل حسن الدساكير»، وتا للّه مابعد هذا إلا المكابرة وجحد الحق بعد ماتبين!

( الوجه السابع والثلاثون) قول حزقيل في صحفه التي بأيديهم يقول اللّه عز وجل- بعد ماذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم بكرمة غذاها وقال« لم- تلبث الكرمة أن قلعت بالسخطة ورمى بها على الأرض وأحرقت السمائم ثمارها، فعند ذلك غرس في البدو وفي الأرض المهملة العطشى وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولاقضيب» وهذا تصريح لاتلويح به، ﷺ وببلده وهي مكة العطشى المهملة من النبوة قبله من عهد إسماعيل.

( الوجه الثامن والثلاثون) ما في صحف دانيال وقد نعت الكشدانين الكذابين فقال: « لاتمتد دعوتهم ولايتم قربانهم، وأقسم الرب بساعده أن لايظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة»، وفي التوراة مايشبه هذا، وهذا تصريح بصحة نبوة محمد، ﷺ فإن الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه في حياته، وهذه دعوته قد مرت عليها القرون من السنين وهي باقية مستمرة وكذلك إلى آخر الدهر، ولم يقع الملك قط فضلاً عن كذاب مفتر على اللّه وأنبيائه مفسد للعالم مغير لدعوة الرسل، ومن ظن هذا باللّه فقد ظن به أسوأ الظن وقدح في علمه وقدرته وحكمته](١).

(١) هداية الحيارى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم من ص ٥١ – ٨٧.

وصفة النبي ﷺ في التوراة كما رواها كعب الأحبار عن التوراة التي لم تحرف في قوله: [ أحمد عبدي المختار، لافظ ولا غليظ، ولاصخاب في الأسواق، ولايجزي بالسيئة السيئة يعفو ويغفر، مولده بكًّا، وهجرته طابا، وملكه بالشام، وأمته الحامدون، يحمدون اللّه على كل نجد، ويسبحونه في كل نزلة، ويوضئون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم في جو السماء، وصفهم في الجهاد والصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد في النهار، لهم دويٌ كدويِّ النحل، يصلون الصلاة حيث ماأدركتهم ولو على كناسة](١)

وفي كتاب (البشارة بمحمد ﷺ )(٢) ذكر مؤلفه الكشف عن نص قديم مفقود منذ ثلاثة آلاف سنة اشتمل على البشارة بمحمد ﷺ.

وعما ورد في هذا الكتاب قالت جريدة الداعي (٣):

[كشف حديثا عن نص في التوارة اختفي منذ ٣٠٠٠ عام يبشر بالرسول محمد بن عبد الله ﷺ.

وذكر الأستاذ عصام راشد الصدقي في كتاب له صدر حديثا بعنوان «البشارة بمحمد ﷺ، في التوراة» إن المزمور ٦٨ من مزامير داؤد يحمل البشارة بمحمد مبينا أن الترجمات الخمس للنص خاصة الآية الخامسة من المزمور استبدلت كلمة «عرفات» بالنص العبري، وجاءت بكلمة «الغمام أو الغفار أو البراري».

وأكد المؤلف أن الخطأ في الترجمات لم يكن سهوا لأنه لو كان كذلك لما تكرر مشيراً إلى أن اليهود أنفسهم في شرحهم ذكروا أن عرفات هي اسم لعلم ولينفوا أي علاقة له بالأرض، قالوا إنه إسم السماء السابعة.

وبين الأستاذ عصام راشد الصدقي أن كثيرا من الكلمات العبرية والعربية ذات أصل مصري قديم، «هيروغليفي» وإن عرفات هي المكان والعلامة المميزة الكبرى للمسلمين يحجون إليه كل عام لا يظلهم إلا اللّه سبحانه وتعالى.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – لابن تيمية– جـ ٤ ص ٥، ٦.
(٢) للأستاذ عصام راشد الصدقي، ولم أطلع على هذا الكتاب.
(٣) جريدة عربية إسلامية نصف شهرية تصدر عن الجامعة الإسلامية دار العلوم – ديوبند الهند – العدد ٥٠٤ من [١٥/٣ – ١/٤/١٤١٢هـ] ص ١١.

ويسرد المؤلف الصفات الواردة في المزمور ٦٨ من مزامير داؤد و بعد أن يأتي بما يؤكدها في القرآن الكريم يقول إن هذه الصفات «اب اليتامي» «قاضي الأرامل» تنطبق انطباقاً تاماً على الهادي البشير المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد اللّه ﷺ .

ويفيد الأستاذ عصام في كتابه أن عرفات هي المكان الوحيد الذي يجتمع فيه البشر منذ القدم وهي ميقات معلوم ومكان معلوم وهدف معلوم، فأما الميقات فهو من زوال شمس يوم التاسع إلى فجر العاشر من ذي الحجة من كل عام، وأما المكان فهو الوادي الذي تحفه الجبال على مسافة ٢٢ كيلو مترا شرقي مكة المكرمة، وأما الهدف فهو وقوف ضيوف الرحمن ملبين نداء الحق سبحانه وتعالى متضرعين «لبيك اللهم لبيك»].



## مَنْ لم تبلغهم دعوة محمد ﷺ

وعلماء أهل الكتاب مطالبون بتلمس أخبار النبي الذي بَشّر به عيسى – عليه السلام– فيما لم يحرف من الإنجيل وهي بشارة ملزمة لهم باتباع محمد ﷺ وملزمة بتلمس الأخبار عنه.

ثم إن هؤلاء العلماء مسئولون عن أهل ملتهم يعني أنهم ملزمون بإخبارهم بما يجب عليهم في هذا الأمر، ومتى أطلعوهم على ذلك برأت ذممهم وصار كل مخبر مسئولاً عن نفسه.

وهذا يعني أن عامة أهل الكتاب من غير العلماء حكمهم حكم من لم تبلغهم رسالة محمد ﷺ وأول مايرد على الذهن في مثل هؤلاء قول زيد بن حارثة: « خرج النبي ﷺ وهو مُرْدِفي فذبحنا له شاة ثم صنعناها له حتى إذا نضجت استخرجتها فجعلناها في سفرتنا ثم أقبل رسول اللّه ﷺ يسير وهو مُردفي في يوم حارمن أيام مكة حتى إذا كنا بأعلى الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيا– ﷺ أحدهما الآخر بتحية الجاهلية، فقال له رسول اللّه ﷺ: مالي أرى قومك قد شنفوا لك، قال أما واللّه إن ذلك لمني لبغير نائرة كأنت مني إليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار يثرب، خوجدتهم يعبدون اللّه عز وجل ويشركون به فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى أقدم على أحبار فدك فوجدتهم يعبدون اللّه عز وجل ويشركون به، فقلت ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى أقدم على أحبار أيلة فوجدتهم يعبدون اللّه عز وجل ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فقال لي حبر من أحبار أهل الشام: إنك تسأل عن دين ما نعلم أحدًا يعبد اللّه به إلا شيخًا بالجزيرة، فخرجت حتى قدمت فأخبرته بالذي خرجت له فقال: إن كل من رأيت في ضلال، إنك لتسأل عن دين هو دين اللّه عز وجل ودين ملائكته وقد خرج من أرضك نبيٌّ، أو هو خارج يدعو إليه ارجع إليه فصدقه واتبعه وآمن بما جاء به،

فرجعت قال: فأناخ رسول الله ﷺ البعير ولم أحس نبيا بعد، ثم تفرقنا وكان صنمان من نحاس يقال لهما- أساف ونائلة- يتمسح بهما المشركون إذا طافوا فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت تمسحت به فقال رسول الله ﷺ: لاتمسه، فطفنا فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر مايقول، فقال رسول الله ﷺ: ألم تُنْه؟، قال زيد: فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ماأستلم صَنَمًا حتى أكرمه الله عز وجل بالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ومات زيد بن عمرو قبل أن يبعث النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ يأتي يوم القيامة أمة وحده». هذا حديث مشهور](١).

وقال القرطبي على قوله تبارك وتعالى:[« وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا»(٢). والجمهور على أن هذا في حكم الدنيا، أي أن الله لايهلك أمة بعذاب إلابعد الرسالة إليهم والإنذار. وقالت فرقة: هذا علم في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُوٓاْ : بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا﴾. قال ابن عطية: والذي يعطيه النظر أن بعثة آدم- عليه السلام- بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة على الصانع مع سلامة الفِطَر توجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في زمن نوح- عليه السلام- بعد غرق الكفار. وهذه الآية - أيضًا- يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة، وهم أهل الفَتَرات الذين قد قدّر وجودَهم بعض أهل العلم. وأما ما روي من أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال فحديث لم يصح، ولايقتضي ما تعطيه الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف. قال المهدوي: وروي عن أبي هريرة أن الله عز وجل يبعث يوم القيامة رسولاً إلى أهل الفترة والأبكم والأخرس والأصم؛ فيطيعه منهم من كان يريد أن يطيعه في الدنيا، وتلا الآية؛ رواه مَعْمَر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة، ذكره النحاس.قلت: هذا موقوف، وسيأتي مرفوعًا في آخر سورة، طّه إن شاء الله تعالى؛ ولايصح.

وقد استدل قوم في أن أهل الجزائر إذا سمعوا بالإسلام وآمنوا فلا تكليف عليهم فيما مضى؛ وهذا صحيح، ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة

---

(١) كتاب التوحيد- لابن مندة- تحقيق د. علي محمد بن ناصر الفقيهي، جـ ١ ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) الإسراء / ١٥.

العقل، والله أعلم](١).

أما ابن كثير فقد أفاض في الحديث إفاضة طيبة أورد فيها جملة من الأحاديث النبوية الشريفة متكلماً عليها، ثم عقد فصلين للحديث في الموضوع وانتهى إلى أن أطفال المؤمنين معهم كما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾(٢).

وأما أطفال المشركين فأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال القرطبي على قوله تبارك وتعالى:[﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾(٣). روى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال:« يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولارسول- ثم تلا-﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ - الآية- ويقول المعتوه: رَبِّ لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولاشراً، ويقول المولود: رَبِّ لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول رِدُوها وادخلوها- قال- فَيِردُها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً لوأدرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل .

﴿قال﴾فيقول الله تبارك وتعالى:﴿إياى عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم﴾](٤).

وسئل الإمام ابن تيمية عن قوله ﷺ: [« كل مولود يولد على الفطرة» مامعناه؟ أراد فطرة الخلق أم فطرة الإسلام؟. وفي قوله « الشقي من شقي في بطن أمه» الحديث. هل ذلك خاص أوعام. وفي البهائم والوحوش هل يُحْيِيها الله يوم، القيامه أم لا؟

فأجاب: الحمدلله. أما قوله ﷺ:( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي طبعة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية سنة (١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م) جـ ١٠ ، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٢) الطور / ٢١.

(٣) طه / ١٣٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١١ ، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

ينصرانه أويمجسانه) فالصواب أنها فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال:( ألست بربكم؟ قالوا بلي). وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة، و القبول للعقائد الصحيحة.

فإن حقيقة « الإسلام» أن يستسلم للّه؛ لالغيره، وهو معنى لا إله إلا اللّه، وقد ضرب رسول اللّه ﷺ مثل ذلك فقال:( كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟): بيد أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول اللّه ﷺ فيما يروى عن عبد اللّه:«(إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوابي مالم أنزل به سلطانًا). ولهذا ذهب الإمام أحمد– رضي اللّه عنه– في المشهور عنه: إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه؛ لزوال الموجب للتغيير عن أصل الفطرة. وقد روي عنه؛ وعن ابن المبارك، وعنهما: أنهم قالوا:(يولد على مافطر عليه من شقاوة وسعادة)، وهذا القول لاينافي الأول، فإن الطفل يولد مسلمًا، وقد علم اللّه أنه سيكفر، فلابد أن يصير إلى ماسبق له في أم الكتاب كما تولد البهيمة جمعاء وقد علم اللّه أنها ستجدع.

وهذا معنى ماجاء في صحيح مسلم عن ابن عباس– رضي اللّه عنهما– قال: قال رسول اللّه ﷺ في الغلام الذي قتله الخضر:( طبع يوم طبع كافرًا؛ ولوترك لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا) يعني طبعه اللّه في أم الكتاب، أي كتبه وأثبته كافرًا؛ أي أنه إن عاش كفر بالفعل. ولهذا لما سئل رسول اللّه ﷺ عَمَّن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال:( اللّه أعلم بما كانوا عاملين) أي اللّه يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا. ثم إنه قد جاء في حديث إسناده مقارب عن أبي هريرة– رضي اللّه عنه– عن النبي ﷺ قال:( إذا كان يوم القيامة فإن اللّه يمتحنهم ويبعث إليهم رسولاً في عرصة القيامة، فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار). فهنالك يظهر فيهم ما علمه اللّه سبحانه، ويجزيهم على ماظهر من العلم وهو إيمانهم وكفرهم؛ لاعلى مجرد العلم.

وهذا أجود ماقيل في أطفال المشركين، وعليه تتنزل جميع الأحاديث][1].

وقد ناقش الإمام ابن تيمية قضية التعذيب وعدمه بالنسبة لأبناء المشركين فروى أقوال العلماء، ثم انتهى إلى القول بأن ذلك خاضع لمشيئة الباري سبحانه وتعالى[2].

وللإمام ابن تيمية في هذا رأي آخر ربما كان فيه شيء من الوضوح أكثر إلى كونه تناول فيه من لم يعلم بتحريف التوراة والإنجيل من أهل الكتاب.

ومعلوم أن هذا الحكم على أهل الكتاب الذي أشار إليه ابن تيمية في النص الآتي إنما ينطبق على من كان منهم قبل بعثة محمد ﷺ.

أما بعدما بعث فإن كان من خالف ماأتى به من أهل الكتاب ومن غيرهم فإنه داخل في حكم الوعيد لأن ماجاء به محمد ﷺ ناسخ لجميع الأديان من قبله على ما قرر في هذا الموضع.

وقول ابن تيمية هذا هو:[ أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله"«لأنذركم به وَمَنْ بلغ»، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون مالم يبلغه، فإذا اشتبه معنى بعض الآيات، وتنازع الناس في تأويل الآية، وجب رد ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول. فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراده الرسل فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد. فلا يمتنع أن يقال ذلك في أهل الكتاب قبلنا فمن لم تبلغه جميع نصوص الكتاب قبلنا؛ لم تقم عليه الحجة بما بلغه فيما خفي عليهم معناه منه فاجتهد في معرفته فإن أصاب فله أجران. وإن أخطأفله أجر وخطأه محطوط عنه، فأما من تعهد تحريف الكتاب لفظه أو معناه وعرف ماجاء به الرسول فعانده فهذا مستحق للعقاب، وكذلك من فرط في طلب الحق واتباعه متبعاً لهواه مشتغلاً عن ذلك بدنياه.

وعلى هذا فإذا كان بعض أهل الكتاب قد حرفوا بعض الكتاب وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك وهم مجتهدون في اتباع ماجاء به الرسول لم يجب أن يجعل هؤلاء من

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ. جـ ٤ من ص ٢٤٥ – ٢٤٧.

(٢) انظر كتاب النبوات لأحمد بن تيمية من ص ٩٨ – ١٠٠ .

المستوجبين للوعيد، فإذاجاز أن يكون في أهل الكتاب من لم يعرف جميع ما جاء به المسيح، بل خفي عليه بعض ما جاء به أو بعض معانيه فاجتهد لم يعاقب على مالم يبلغه. وقد تحمل أخبار اليهود الذين كانوا مع= تبع= والذين كانوا ينتظرون الإيمان بمحمد ﷺ من أهل المدينة كابن الهتيان وغيره على هذا، وأنهم لم يكونوا مكذبين للمسيح تكذيب غيرهم من اليهود](١).

وفي جواب للشيخين حسين وعبد الله ابني الإمام محمد بن عبد الوهاب جاء قولهما: [ فيمن مات قبل هذه الدعوة ولم يدرك الإسلام وهذه الأفعال التي يفعلها الناس اليوم يفعلها ولم تقم عليه الحجة ما الحكم فيه؟ وهل يلعن أويسب أو يكف عنه وهل يجوز لابنه الدعاء له وما الفرق بين من لم يدرك هذه الدعوة وبين من أدركها ومات معاديًا لهذا الدين وأهله؟.

الجواب: من مات من أهل الشرك قبل بلوغ هذه الدعوة فالذي يحكم عليه أنه إذا كان معروفًا بفعل الشرك ويدين به ومات على ذلك فهذا ظاهره أنه مات على الكفر ولايُدْعى له ولايضحى له ولا يتصدق عنه، وأما حقيقة أمره فإلى الله تعالى فإن كان قد قامت عليه الحجة في حياته وعاند فهذا كافر في الظاهر والباطن، وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله تعالى، وأما سبه ولعنه فلا يجوز، بل لايجوز سب الأموات مطلقًا كما في صحيح البخاري عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:(لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا) إلا إن كان أحدًا من أئمة الكفر وقد اغتر الناس به فلا بأس بسبه إذا كان فيه مصلحة دينية، والله أعلم](٢).

ومما يتصل بذلك ويزيد فيه إيضاحًا وتبيينًا ماجاء في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لابن تيمية جـ ١ ص ٣١٩ ، ٣٢٠.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ٨ ص ١١٣.

(٣) الأنعام / ١٩ - ٢٠.

قال ابن كثير – رحمه اللّه-:[( قل أي شيء أكبر شهادة)، أي من أعظم الأشياء شهادة( قل اللّه شهيد بيني وبينكم) أي هو العالم بما جئتكم به وما أنتم قائلون لي (وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أي وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى:( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده). قال ابن حاتم: حدثنا أبوسعيد الأشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله( ومن بلغ) من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ زاد أبو خالد وكلمه. ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد ﷺ وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى:( لأنذركم به ومن بلغ) إن رسول اللّه ﷺ قال:« بلغوا عن اللّه فمن بلغته آية من كتاب اللّه فقد بلغه أمر اللّه». وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول اللّه ﷺ أن يدعو كالذي دعا رسول اللّه ﷺ وأن ينذر بالذي أنذر وقوله﴿أئنكم لتشهدون﴾أيها المشركون﴿أن مع اللّه آلهة أخرى قل لاأشهد﴾كقوله ﴿ فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ ﴿قل إنما هو إله واحد وإنني برىء مما تشركون﴾ ثم قال تعالى مخبراً عن أهل الكتاب؛إنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنبياء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ﷺونعته وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده﴿الذين خسروا أنفسهم﴾،أي خسروا كل الخسارة( فهم لايؤمنون) بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشرت به الأنبياء ونوهت به في قديم الزمان وحديثه ثم قال:﴿ومن أظلم ممن افترى على اللّه كذباً أو كذب بآياته﴾أي لاأظلم ممن تقوّل على اللّه فادعى أن اللّه أرسله ولم يكن أرسله ثم لاأظلم ممن كذب بآيات اللّه وحججه وبراهينه ودلالاته﴿إنه لايفلح الظالمون﴾أي لايفلح هذا ولاهذا لا المفترى ولا المكذب](١).

وجاء في الكشاف:[ أي شهيد( أكبر شهادة) فوضع شيئاً مقام شهيد ليبالغ في التعميم( قل اللّه شهيد بيني وبينكم) يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله ( قل اللّه) بمعنى اللّه أكبر شهادة، ثم ابتدأ ﴿ شهيد بيني وبينكم﴾أي هو شهيد بيني وبينكم، وأن

(١) تفسير القران العظيم جـ ٢ ص ١٢٦.

يكون﴿شهيد بيني وبينكم﴾هو الجواب، لدلالته على أن اللّه عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم، فأكبر شيء شهادة شهيد له( ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة. أي: لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم. وقيل: من الثقلين، وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير: من بلغه) القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ( أئنكم لتشهدون) تقريرلهم مع إنكار واستبعاد( قل لاأشهد) شهادتكم.( الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول اللّه ﷺ بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة( كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم لايخفون عليهم ولايلتبسون بغيرهم.

وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته. ثم قال: ( الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين( فهم لايؤمنون) به، جمعوا بين أمرين متناقضين، فكذبوا على اللّه بما لاحجة عليه، وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح، حيث قالوا( لوشاء اللّه ما أشركنا ولاآباؤنا). وقالوا:( واللّه أمرنا بها) وقالوا: ( الملائكة بنات اللّه) و( هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه) ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحراً. ولم يؤمنوا بالرسول ﷺ ](١).

ومن لطيف ماورد في ظلال القرآن قوله: [ فكل من بلغه هذا القرآن من الناس، بلغة يفهمها، ويحصل منها محتواه، فقد قامت عليه الحجة به، وبلغه الإنذار، وحق عليه العذاب، إن كذب بعد البلاغ.

فأما من يحول عدم فهمه للغة القرآن دون فهمه لفحواه، فلا تقوم عليه الحجة به، ويبقى إثمه على أهل هذا الدين الذين لم يبلغوه بلغته التي يفهم بها مضمون هذه الشهادة.. هذا إذا كان مضمون القرآن لم يترجم إلى لغته.

فإذا أعلن أن شهادة اللّه -سبحانه- متضمنة في هذا القرآن، أعلن إليهم مضمون هذه الشهادة في صورة التحدي والاستنكار لشهادتهم هم، المختلفة في أساسها عن شهادة اللّه سبحانه، وعالنهم بأنه ينكر شهادتهم هذه ويرفضها؛ وإنه يعلن غيرها

(١) الزمخشري جـ ٢ ص ٨، ٩.

ويقرر عكسها ويشهد لربه بالوحدانية المطلقة والألوهية المتفردة؛ وأنه يفاصلهم على هذا عند مفرق الطريق؛ وأنه يتبرأمن شركهم في صيغة التشديد والتوكيد](١).

وعندي- والله أعلم- أن من بلغته الدعوة من أي طريق وعلى أي صورة كان ذلك فإن الحجة تقوم عليه بذلك حتى وإن بلغته من طريق نفي النصارى صحة رسالة محمد ﷺ أو من طريق نقدهم الدين الإسلامي أو التعريض بالمسلمين أو نحو ذلك مما يعد نوعًا من البلاغ، فإن كل ذلك مقيم الحجة عليهم، ومن هنا يكونون داخلين- والله أعلم- فيما نص عليه القرآن الكريم والحديث الشريف من كُفرِ جميع الذين يعارضون هذا الدين أو يكذبونه أو يرون عدم صحته وصدقه بأي وجه من وجوه المعارضة أو الربط أو التعريض.

أما أولئك الذين بعدوا عن مصادر المعرفة كالذين يعيشون في الغابات والأدغال أو الجزر المنقطعة التي لم يبلغها الإسلام على أي صورة من صور التبليغ فإنهم داخلون- والله أعلم- فيما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فيما مربنا وما استدل به من آيات وأحاديث، والله أعلم(٢).

على أن هذه الأحكام توشك أن تكون محدودة في هذا الزمان لكون وسائل الإعلام فيه لم تترك شيئًا مجهولاً عندجل أهل هذا العصر، والمسلمون مطالبون بإيصال صوت الإسلام وحقيقة دعوته إلى الناس لإبراء الذمة أولاً، ثم استنقاذ الناس من مهاوي الضلال والضياع ثانيًا.

فالمسلمون مسئولون على قدر طاقاتهم وما تمكنهم منه الأسباب المتاحة.

غيرأنه من الملاحظ أن دعاة المسلمين لايبينون للناس حقيقة أن الإسلام قد نسخ جميع الديانات، وأن من بلغه هذا الدين لا يجوزله الإنصراف عنه إلى سواه، فإن فعل فإنه يكون مخالفًا أمر الله مَعَرِّضًا نفسه للوعد والوعيد.

إن الناس يجب أن يعلموا ذلك جيدًا، وإن ذمة المسلم لاتبرأ إلا بهذا التبليغ الذي لايكلف الله فيه النفس إلا وسعها أي أن الأمر يجب علينا بقدر الطاقة، كما أسلفنا.

---

(١) سيد قطب جـ ٢ ص - ١٠٥٦، ١٠٥٧.

(٢) أنظر ص ٧٧ من البحث.

ثم إن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، فكلما كان الواعظ أكثر حكمة كانت موعظته أمكن في النفوس وأبلغ في استمالة القلوب إلى مافيه خير دنياها وأخراها.

والأسوة الحسنة خير داعية، والإحسان إلى الناس ولوبالكلمة الطيبة من ذلك.

ولاأريد جر الحديث إلى الدعوة والدعاة والوعظ والواعظين، لكنها خاطرة مرت فأبت إلا أن تترك أثرها على مامرت عليه من هذا الحديث الذي أختمه بكلمة قد تكون أجنبية في موضعها، غير أن ما قبلها قد أفسح لها المكان وهذه الكلمة هي الإخلاص الذي يجب أن ننطلق منه في كل أعمالنا القولية والفعلية لتسلم لنا أجور أعمالنا ولنضمن نجاح مقاصدنا وماالتوفيق إلا بالله.



# قوم لاطاعة لهم ولا معصية

وللإمام ابن القيم كلام في هذا وما أشبهه رقَمه في كتابه (طريق الهجرتين) تحت موضوع ( قوم لاطاعة لهم ولا معصية ولاكفر ولاإيمان ) وهم الطبقة الرابعة عشرة من طبقات الخلق من الإنس والجن التي صنفهم في ثماني عشرة طبقة، ولما كان هذا الحديث مشتملاً على جملة من الفوائد الجليلة آثرنا نقله على الرغم من طوله، يقول الإمام ابن القيم رحمه اللّه:

[ وهؤلاء أصناف: منهم من لم تبلغة الدعوة بحال ولاسمع لها بخبر، ومنهم المجنون الذي لايعقل شيئًا ولايميز، ومنهم الأصم الذي لايسمع شيئًا أبدًا، ومنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا شيئًا. فاختلفت الأمة في حكم هذه الطبقة اختلافًا كثيرًا، والمسألة التي وسعوا فيها الكلام هي مسألة أطفال المشركين. وأما أطفال المسلمين فقال الإمام أحمد: لايختلف فيهم أحد، يعني أنهم في الجنة. وحكى ابن عبد البر عن جماعة أنهم توقفوا فيهم وأن جميع الولدان تحت المشيئة. قال: وذهب إلى هذا القول جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث، منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق بن راهوية، قالوا: وهو شبه ما رسم مالك في موطأه في أبواب القدر، وما أورده من الأحاديث في ذلك، وعلى ذلك أكثر أصحابه، وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة.

وأما أطفال المشركين فللناس فيهم ثمانية مذاهب:

( **أحدها**) الوقف فيهم، وترك الشهادة بأنهم في الجنة أو في النار، بل يوكل علمهم إلى اللّه تعالى ويقال اللّه أعلم ما كانوا عاملين واحتج هؤلاء بحجج منها ما أخرجاه في الصحيحين عن حديث أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: ( ما من مولود إلايولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أوينصرانه. كما تنتج البهيمة من بهيمة جمعاء هل يحس فيها

من جدعاء؟) قالوا: يارسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال:( الله أعلم بما كانوا عاملين) ومنها ما في الصحيحين أيضاً عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال:( الله أعلم بما كانوا عاملين) .

وفي صحيح أبي حاتم بن حبان من حديث جرير بن حازم: سمعت أبا رجاء يقول وهو على المنبر: قال رسول الله ﷺ:( لايزال أمر هذه الأمة قواماً أو مقارباً- مالم يتكلموا في الولدان والقدر) قال أبو حاتم: الولدان أراد به أطفال المشركين. وفي استدلال هذه الفرقة على ما ذهبت إليه من الوقف بهذه النصوص نظر. فإن النبي ﷺلم يجب فيهم بالوقف، وإنما وكل علم ما كانوا يعملون لو عاشوا إلى سبحانه وتعالى. والمعنى: الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا.

فهو سبحانه وتعالى يعلم القابل منهم للهدى العامل به لو عاش، والقابل منهم للكفر المؤثر له لو عاش. لكن لابدل هذا على أنه يجزيهم بمجرد علمه فيهم بلاعمل يعملونه، وإنما يدل على أنه يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حياتهم وهذا الجواب خرج عن النبي ﷺ :على وجهين: ( أحدهما) جواب لهم إذ سألوه عنهم: ماحكمهم؟ فقال:( الله أعلم بماكانوا عاملين) وهو في هذا الوجه يتضمن أن الله سبحانه وتعالى يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر بتقدير الحياة، وأما المجازاة على العلم فلم يتضمنها جوابه، صلى الله عليه وسلم. وفي صحيح أبي عوانة الإسفراييني عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس: كان النبي ﷺ في بعض مغازيه، فسأله رجل: مايقول في اللاهين! فسكت عنه . فلما فرغ من غزوة الطائف إذا هو بصبي يبحث في الأرض فأمر مناديه فنادي:( أين السائل عن اللاهين)؟ فأقبل الرجل. فنهي رسول الله ﷺعن قتل الأطفال وقال( الله أعلم بما كانوا عاملين). و( الوجه الثاني) جواب لهم حين أخبرهم أنهم من آبائهم فقالوا: بلا عمل؟ فقال:( الله أعلم بما كانوا عاملين). كما روى أبو داود عن عائشة قالت: قلت يارسول الله، ذراري المؤمنين؟ قال:« من آبائهم». قلت: يا رسول الله. بلا عمل؟ قال( الله أعلم بما كانوا عاملين) ففي هذا الحديث مايدل على أن الذين يلحقون بآبائهم منهم هم الذين علم الله أنهم لو عاشوا لاختاروا الكفر وعملوا به، فهؤلاء مع آبائهم. ولايقتضي أن كل واحد من الذرية مع أبيه في النار. فإن الكلام في هذا الجنس سؤالا وجواباً، والجواب يدل على التفصيل.

فإن قوله ﷺ:( الله أعلم بما كانوا عاملين) يدل على أنهم متباينون في التبعية، بحسب نياتهم ومعلوم الله فيهم بقي أن يقال: فالحديث يدل على أنهم يلحقون بآبائهم من غير عمل ولهذا فهمت ذلك عائشة. فقالت: بلا عمل؟ فأقرها عليه فقال:( الله أعلم بما كانوا عاملين). ويجاب عن هذا بأن الحديث إنما دل على أنهم يلحقون بهم بلا عمل عملوه في الدنيا، وهو الذي فهمته عائشة. ولا ينفي هذا أن يلحقوا بهم بأسباب أخر يمتحنم بها في عرصات القيامة كما سيأتي بيانه، إن شاء الله، فحينئذٍ يلحقون بآبائهم ويكونون منهم بلا عمل عملوه في الدنيا. وعائشة إنما استشكلت لحاقهم بهم بلا عمل عملوه مع الآباء، وأجابها النبي ﷺ بأن الله سبحانه وتعالى يعلم منهم ما هم عاملوه. ولم يقل لها: إنه يعذبهم بمجرد علمه فيهم، وهذا ظاهر بحمد الله لا إشكال فيه، وأما حديث أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس، ففي القلب من رفعه شئ، وإن أخرجه ابن حبان في صحيحه، وهو يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم أو ضرب النصوص بعضها ببعض فيهم، كما ذم من تكلم في القدر بمثل ذلك، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا.

( **المذهب الثاني**) أنهم في النار. وهذا قول جماعة من المتكلمين وأهل التفسير، وأحد الوجهين لأصحاب أحمد، وحكاه القاضي نصًا عن أحمد، واحتج هؤلاء بحديث عائشة المتقدم، واحتجوا بما رواه أبو عقيل يحيى بن المتوكل عن بهية عن عائشة: سألت رسول الله ﷺ عن أولاد المسلمين أين هم؟ قال:( في الجنة)، وسألته عن أولاد المشركين: أين هم يوم القيامة؟ قال:( في النار)، فقلت: لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام، قال:( ربك أعلم بما كانوا عاملين) قلت: يحيى بن المتوكل لا يحتج بحديثه، فإنه في غاية من الضعف. وأما حديث عائشة المتقدم فهو من حديث عمر بن ذر، وتفرد به عن يزيد عن أبي أمية أن البراء بن عازب أرسل إلى عائشة يسألها عن الأطفال فذكرت الحديث، هكذا قال مسلم بن قتيبة. وقال غيره: عن عمر بن ذر عن يزيد عن رجل عن البراء. ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عتبة بن ضمرة ابن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطيف أنه سأل عائشة. فذكرت الحديث. وعبد الله هذا ينظر في حاله، وليس بالمشهور. واحتجوا بما رواه عبد الله بن أحمد في

مسند أبيه عن عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال: سألت خديجة رسول اللّه ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال:( هما في النار) فلما رأى الكراهية في وجهها، قال ( لو رأيت مكانهما لأبغضتهما)، قالت: يا رسول اللّه فولدي منك؟، قال:( إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار)، ثم قرأ ﴿الطور: ٢١﴾، ( والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم). وهذا معلول من وجهين: أحدهما أن محمد بن عثمان مجهول، الثاني أن زاذان لم يدرك عليًا. وقال جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعي قال: أتيت أنا وأخي- النبي ﷺ فقلنا: إن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتفعل وتفعل، فهل نافعها ذلك شيئًا؟ قال ﷺ:(لاقلنا: فإنها كانت وأدت أختًا لنًا في الجاهلية لم تبلغ الحنث؟، فقال: الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم). وهذا إسناد لابأس به.

وبحديث خديجة أنها سألت رسول اللّه ﷺ عن أولادها الذين ماتوا في الشرك فقال:«إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار).

قال شيخنا: وهذا حديث باطل موضوع. واحتجوا أيضًا بما روى البخاري في صحيحه. في حديث احتجاج الجنة والنار عن النبي ﷺ أنه قال:( وأما النار فينشئ اللّه لها خلقًا يُسكنهم إياها) قالوا: فهؤلاء ينشأون للنار بغير عمل، فلأن يدخلها من ولد في الدنيا بين كافرين أولى. وهذه حجة باطلة، فإن هذه اللفظة وقعت غلطًا من بعض الرواة وبيّنها البخاري في الحديث الآخر وهو الصواب، فقال في صحيحه: حدثني عبد اللّه بن محمد أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال النبي، ﷺ:( تحاجت الجنة والنار) فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: مالي لايدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال اللّه عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال تعالى للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها: فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار عز وجل رجله، فتقول: قَطٍ، قط، فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللّه من خلقة أحدًا، وأما الجنة فإن اللّه ينشئ لها خلقًا»، فهذا هو الذي قاله رسول اللّه ﷺ بلا

ريب. وهو الذي ذكره في التفسير، وفي باب ماجاء في قول اللّه تعالى﴿إن رحمة اللّه قريب من المحسنين﴾( الأعراف: ٥٦).. حدثنا عبد اللّه بن سعد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : قال: ( اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: يارب مالها لايدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: إني أوثرت بالمتكبرين، فقال اللّه تعالى للجنة: أنت رحمتي، وقال تعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. قال: فأما الجنة فإن اللّه تعالى لا يظلم من خلقه أحدًا، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد( ثلاثًا) حتى يضع قدمه فيها فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط قط).

فهذا غير محفوظ، وهو مما انقلب لفظه على بعض الرواة قطعًا كما انقلب على بعضهم قوله ﷺ: ( إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) فقال:« إن ابن أم مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال) وله نظائر. وحديث الأعرج هذا عن أبى هريرة لم يحفظ كما ينبغي وسياقه يدل على أن روايه لم يقم متنه، بخلاف حديث همام عن أبى هريرة. واحتجوا بما رواه أبو داود عن عامر الشعبي قال: قال رسول اللّه ﷺ :( الوائدة والموءودة في النار). قال يحيى بن زكريا: فحدثني أبو إسحاق السبيعي أن عامرًا حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ ويأتي الجواب عن هذا الحديث إن شاء اللّه، واللّه أعلم.

**(المذهب الثالث)** أنهم في الجنة، وهذا قول طائفة من المفسرين والمتكلمين وغيرهم. واحتج هؤلاء بما رواه البخاري في صحيحه عن سمرة بن جندب قال: كان رسول اللّه ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه:( هل رأى أحد منكم رؤيا)؟ قال : فنقص عليه ما شاء اللّه أن نقص، وأنه قال لنا ذات غداة:( إني أتاني الليلة آتيان- فذكر الحديث وفيه- فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط- وفيه- وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة) فقال بعض المسلمين: يا رسول اللّه، وأولاد المشركين؟ فقال رسول اللّه ﷺ(وأولاد المشركين) فهذا الحديث الصحيح صريح في أنهم في الجنة، ورؤيا الأنبياء وحي. وفي

مستخرج البرقاني على البخاري من حديث الأعرابي عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة عن النبي ﷺ قال:( كل مولود يولد على الفطرة)، فقال الناس: يا رسول الله. وأولاد المشركين؟ قال ( وأولاد المشركين) وقال أبو بكر بن حمدان القطيعي: حدثنا بشر بن موسى حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية قالت: حدثتني عمتي قالت: يا رسول الله من في الجنة؟ قال( النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والموءودة في الجنة)، وكذلك رواه بندار عن غندرعن عوف، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)وبقوله تعالى، ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ (الليل : ١٥) وبقوله تعالى، ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤) وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء : ١٥)وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله بالرسل فلا يعذبهم. واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ (القصص:٥٩) فإذا كان سبحانه لا يهلك القرى في الدنيا ويعذب أهلها إلا بظلمهم فكيف يعذب في الآخرة العذاب الدائم لم من يصدر منه ظلم! ولا يقال:كما أهلكه في الدنيا تبعاً لأبويه وغيرهم فكذلك يدخله النار تبعاً لهم، لأن مصائب الدنيا إذ وردت لا تخص الظالم وحده بل تصيب الظالم وغيره، ويبعثون على نياتهم وأعمالهم كما قال تعالى :﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال: ٢٥) ، وكالجيش الذين يخسف بهم جميعهم وفيهم المكره والمستبصر وغيره ، فأما عذاب الآخرة فلا يكون إلا للظالمين خاصة، ولا يتبعهم فيه من لاذنب له أصلا. قال تعالى في النار: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (الملك:٨-٩) . وقال لإبليس: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (ص:٨٥). وإذا امتلأت بإبليس وأتباعه فأين يستقر فيها من لم يتبعه؟ قالوا: وأيضاً فالقرآن مملوء من الأخبار بأن دخول النار إنما يكون بالأعمال، كقوله تعالى:﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل:٩٠)وقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف:٤٩) ، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١)وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ :( الزخرف ٧٦)إلى

غير ذلك من النصوص. قالوا: وقد أخبر النبي ﷺ أن كل مولود يولد على الفطرة، وأنما يهوده وينصِّره أبواه. فإذا مات قبل التهويد والتنصير مات على الفطرة، فكيف يستحق النار؟ وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال:( يقول اللّه إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم)، وقال محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن عائذ عن عياض عن النبي ﷺ قال:( إن اللّه خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لاحراماً)؛ فزاد( مسلمين) قالوا: وأيضاً فإن النار دار عدله، والجنة دار فضله. فلهذا ينشئ للجنة من لم يعمل عملاً قط. وأما النار فإنه لا يعذب بها إلا من عمل بعمل أهلها قالوا: وأيضاً فإن النار دار جزاء، فمن لم يعص اللّه طرفة عين كيف يجازى بالنار خالداً مخلداً أبد الآباد؟ قالوا: وأيضاً فلو عذب هؤلاء لكان تعذيبهم إما مع تكليفهم بالإيمان أو بدون التكليف، والقسمان ممتنعان، أما الأول فلا ستحالة تكليف من لا تمييز له ولا عقل أصلاً، وأما الثاني فيمتنع أيضاً بالنصوص التي ذكرناها وأمثالها من أن اللّه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه.قالوا: وأيضاً فلو كان تعذيب هؤلاء لأجل عدم الإيمان المانع من العذاب لاشتركوا هم وأطفال المسلمين في ذلك لاشتراكهم في عدم الإيمان الفعلي علماً وعملاً. فإن قلتم: أطفال المسلمين منعهم تبعهم لآبائهم من العذاب، بخلاف أطفال المشركين، قلنا: اللّه لايعذب أحداً بذنب غيره، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام:١٦٤)وقال تعالى:﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (ياسين:٥٤)وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة، ولاسبيل إلى دفعها. وسيأتي إن شاء اللّه فصل النزاع في هذه المسألة، والقول بموجب هذه الحجج الصحيحة كلها. على أن عادتنا في مسائل الدين كلها دقها وجلها أن نقول بموجبها، ولانضرب بعضها ببعض. ولا نتعصب لطائفة على طائفة بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق. لانستثني من ذلك طائفة ولامقالة، ونرجو من اللّه أن نحيا على ذلك، ونموت عليه، ونلقى اللّه به، ولا قوة إلا باللّه.

**( المذهب الرابع)** أنهم في منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار، فإنهم ليس لهم إيمان يدخلون به الجنة ولا لآبائهم فوز يلحق بهم أطفالهم تكميلاً لثوابهم وزيادة في

نعيمهم وليس لهم من الأعمال ما يستحقون به دخول النار. وهذا قول طائفة من المفسرين، قالوا: وهم أهل الأعراف. وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني( هم الذين ماتوا في الفترة). والقائلون بهذا إن أرادوا أن هذا المنزل مستقرهم أبداً فباطل، فإنه لادار للقرار إلا الجنة أو النار وإن أرادوا أنهم يكونون فيه مدة ثم يصيرون إلى دار القرار فهذا ليس بممتنع.

( **المذهب الخامس**) أنهم تحت مشيئة اللّه تعالى، يجوز أن يعمهم بعذابه، وأن يعمهم برحمته، وأن يرحم بعضاً ويعذب بعضاً بمحض الإرادة والمشيئة، ولا سبيل إلى إثبات شيء من هذه الأقسام إلا بخبر يجب المصير إليه، ولا حكم فيهم إلا بمحض المشيئة وهذا قول الجبرية نفاة الحكمة والتعليل، وقول كثير من مثبتي القدر وغيرهم.

( **المذهب السادس**) أنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم، وهم معهم بمنزلة أرقائهم ومماليكهم في الدنيا. واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم المديني عن يزيد الرقاشى عن أنس، قال الدار قطني: ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ قال:( سألت ربي للاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم، فهم خدام أهل الجنة) يعني الصبيان فهذان طريقان، وله طريق ثالث عن فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس، قال ابن قتيبة: اللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه، وليس هو من لهوت، وهذه الطرق ضعيفة. فإن يزيد الرقاشي رواه، وفضيل بن سليمان متكلم فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

( **المذهب السابع**) أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة، فلا يفردون عنهم بحكم في الدارين، فكماهم منهم في الدنيا فهم منهم في الآخرة والفرق بين هذا المذهب ومذهب من يقول هم في النار، وأن صاحب هذا المذهب يجعلهم معهم تبعاً لهم، حتى لو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهما لم يحكم لأفراطهما بالنار. وصاحب القول الآخر يقول: هم في النار لكونهم ليسوا بمسلمين، ولم يدخلوها تبعاً. وهؤلاء يحتجون بحديث عائشة الذي تقدم ذكره، واحتجوا بما في الصحيحين عن الصعب بن جثامة قال: سئل رسول اللّه ﷺعن أهل الدار من المشركين يبتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم ،

فقال:( هم منهم) ومثله من حديث الأسود بن سريع. وقد تقدم حديث أبى وائل عن ابن مسعود يرفعه( الوائدة والموءودة في النار) وهذا يدل على أنها كانت في النار تبعاً لها. قالوا: ويدل عليه قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور ٢١) فهذا يدل على أن اتباع الذرية لآبائهم ونجاتهم إنما كان إكراماً لآبائهم وزيادة في ثوابهم وأن الاتباع إنما يستحق بإيمان الآباء، فإذا انتفي إيمان الآباء انتفي اتباع النجاة، أما اتباع العذاب. ويفسره قوله ﷺ:( هم منهم) وأجيب عن حجج هؤلاء. أما حديث عائشة الذي فيه« إنهم في النار» فقد تقدم ضعفه. وأما حديثها الآخر( هم من آبائهم) فمثل حديث الصعب والأسود بن سريع، وليس فيه تعرض للعذاب بنفي ولاإثبات، وإنما فيه أنهم تبع لآبائهم في الحكم، وأنهم إذا أصيبوا في الجهاد والبيات لم يضمنوا بدية ولا كفارة. وهذا مصرح به في حديث الصعب والأسود أنه في الجهاد، وأما حديث عائشة الآخر فضعفه غير واحد.: وعبد اللّه بن أبي قبس مولى غطيف راوية عنها ليس بالمعروف فيقبل حديثه.

وعلى تقدير ثبوته فليس فيه تصريح بأن السؤال وقع عن الثواب والعقاب. والنبي ﷺ قال:( هم من آبائهم) ولم يقل: هم معهم، وفرق بين الحرفين، وكونهم منهم لا يقتضي أن يكونوا معهم في أحكام الآخرة بخلاف كونهم منهم فإنه يقتضي أن تثبت لهم أحكام الآباء في الدنيا من التوارث والحضانة والنسب وغير ذلك من أحكام الإيلاد، واللّه سبحانه يخرج الطيب من الخبيث والمؤمن من الكافر، وأما حديث ابن مسعود فليس فيه أن هذا حكم كل واحد من أطفال المشركين، وإنما يدل على أن بعض أطفالهم في النار، وأن من هذا الجنس- وهن الموءودات- من يدخل النار، وكونها موءودة لا يمنع من دخولها النار بسبب آخر، وليس المراد أن كونها موءودة هو السبب الموجب لدخول النار، حتى يكون اللفظ عاماً في كل موءودة.

وهذا ظاهر. ولكن كونها موءودة لايرد عنها النار إذا استحقتها بسبب، كما سيأتي بيانه بعد هذا إن شاء اللّه. وأحسن من هذا أن يقال هي في النار مالم يوجد سبب يمنع من دخولها النار كما سنذكره إن شاء اللّه: ففرق بين أن تكون جهة كونها موءودة هي التي استحقت بها دخول النار، وبين كونها غير مانعة من دخول النار بسبب آخر.

وإذا كان تعالى يسأل الوائدة عن وأد ولدها بغير استحقاق ويعذبها على وأدها كما قال تعالى ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾( التكوير : ٨):فكيف يعذب الموءودة بغير ذنب؟ والله سبحانه لا يعذب من وأدها بغير ذنب. وأما قوله تعالى :﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ ( الطور : ٢١ ) فهذه الآية تدل على أن الله سبحانه يلحق ذرية المؤمنين بهم في الجنة، وأنهم يكونون معهم في درجتهم. ومع هذا فلا يتوهم نزول الآباء إلى درجة الذرية، فإن الله لم يلِتْهم- أي لم ينقصهم- من أعمالهم شيئًا، بل رفع ذرياتهم إلى درجاتهم مع توفير أجور الآباء عليهم، ولما كان إلحاق الذرية بالآباء في الدرجة إنما هو بحكم التبعية لا بالأعمال ربما توهم متوهم أن ذرية الكفار يلحقون بهم في العذاب تبعاً وإن لم يكن لهم أعمال الآباء، فقطع تعالى هذا التوهم بقوله تعالى:( كل امرئ بما كسب رهين)، وتأمل قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) كيف أتي بالواو العاطفة في اتباع الذرية وجعل الخبر عن المؤمنين اللذين هذا شأنهم، فجعل الخبر مستحقًا بأمرين: أحدهما إيمان الآباء، والثاني اتباع الله ذريتهم إياهم، وذلك لا يقضي أن كل مؤمن يتبعه كل ذرية، ولو أريد هذا المعنى لقيل: والذين آمنوا تتبعهم ذرياتهم، فعطف الإتباع بالواو يقتضي أن يكون المعطوف بها قيداً وشرطًا في ثبوت الخبر، لا حصوله لكل أفراد المبتدأ. وعلى هذا يخرج ماروا مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: أتي النبي ﷺ بصبي من الأنصار يصلى عليه. فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، لم يعمل شراً، ولم يدره قال ( أو غير ذلك يا عائشة، وإن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلا وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم).

فهذا الحديث يدل على أنه لا يشهد لكل طفل من أطفال المؤمنين بالجنة، وإن أطلق على أطفال المؤمنين في الجملة أنهم في الجنة، لكن الشهادة للمعين ممتنعة، كما يشهد للمؤمنين مطلقًا في الجنة، ولايشهد لمعين بذلك إلا من شهد له النبي ﷺ فهذا وجه الحديث الذي يُشْكل على كثير من الناس، ورده الإمام أحمد وقال: لا يصح: ومن يشك أن أولاد المسلمين في الجنة؟ وتأوله قوم تأويلات بعيدة.

**( المذهب الثامن)** أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من تبلغة الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار. وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار. وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها. وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذي أحال عليه النبي ﷺ حيث يقول( الله أعلم بما كانوا عاملين)، يظهر حينئذٍ ويقع الثواب والعقاب عليه حال كونه معلوماً علماً خارجياً لا علماً مجرداً، ويكون النبي ﷺ قد رد جوابهم إلى علم الله فيهم، والله يرد ثوابهم وعقابهم إلى معلومه منهم. فالخبر عنهم مردود إلى علمه، ومصيرهم مردود إلى معلومه. وقد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضاً: فمنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده والبزار أيضاً بإسناد صحيح فقال الإمام أحمد: حدثنا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: (أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لايسمع، ورجل هرم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة. أما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئًا. وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر. وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل. وأما الذي في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار. فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً). قال معاذ ( بن هشام ): وحدثني أبي عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة بمثل هذا الحديث وقال في آخره« فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً و من لم يدخلها رد إليها. وهو في مسند إسحاق عن معاذ بن هشام أيضاً. ورواه البزار لفظه عن الأسود بن سريع عن النبي ﷺ قال:( يعرض على الله تبارك وتعالى الأصم الذي لايسمع شيئًا، والأحمق. والهرم، ورجل مات في الفترة. يقول الأصم: رب جاء الإسلام وما أسمع شيئًا. والأحمق يقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئًا. ويقول الذي مات في الفترة: رب ما أتاني لك رسول. وذكر الهرم وما يقول:. قال: فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه. فيرسل إليهم: ادخلوا النار. فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً). قال الحافظ عبد الحق في حديث الأسود: قد جاء هذا الحديث، وهو صحيح فيما أعلم، والآخرة ليست دار تكليف

ولا عمل، ولكن اللّه يخص من يشاء بما يشاء، ويكلف من شاء ما شاء وحيثما شاء لايُسأل عما يفعل وهم يسألون. قلت: وسيأتي الكلام على وقوع التكليف في الدار الآخرة وامتناعه عن قريب إن شاء اللّه. ورواه علي بن المديني عن معاذ بنحوه. قال البيهقي: حدثنا علي بن محمد بن بشران أخبرنا أبو جعفر الرازي أخبرنا حنبل بن الحسين أخبرنا علي بن عبد اللّه وقال: هذا إسناد صحيح. وأما حديث علي بن زيد بن جدعان عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه ورواه، معمر عن عبد اللّه ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قوله. وروى محمد بن المبارك الصورى ثقة، حدثنا عمرو بن واقد ضعيف، حدثنا يونس بن ميسرة ثقة عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ يرفعه( يؤتي يوم القيامة بالمسوخ عقلاً، وبالهالك في الفترة. وبالهالك صغيراً. فيقول المسوخ عقلاً: يارب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد مني. ويقول الهالك في الفترة: يارب لو آتاني منك عهد ماكان من أتاه منك عهد بأسعد بعهده مني. ويقول الهالك صغيراً: يارب لو آتيتني عمراً ماكان من آتيته عمراً بأسعد مني. فيقول الرب سبحانه لئن أمرتكم بأمر فتطيعوني؟ فيقولو ن: نعم وعزتك. فيقول: اذهبوا فادخلوا النار. فلو دخلوها ما ضرتهم. قال: فيخرج عليهم قوابص يظنون أنها قد أهلكت ما خلق اللّه من شيء فيرجعون ويقولون: ياربنا خرجنا وعزتك نريد دخولها، فخرجت علينا قوابص من نار ظننا أنها قد أهلكت ما خلق اللّه من شيء. فيأمرهم الثانية، فير جعون كذلك ويقولون مثل قولهم، فيقول اللّه: قبل أن تخلقوا علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون فتأخذهم النار). فهذا وإن كان عمرو بن واقد لا يحتج به فله أصل وشواهد والأصول تشهد له، وفي الباب أحاديث غير هذا، وقد رويت أحاديث الامتحان في الآخرة من حديث الأسود بن سريع وصححه عبد الحق والبيهقي من حديث أبي هريرة وأنس ومعاذ وأبي سعيد. فأما حديث الأسود فرواه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال معاذ: وحدثني أبي عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة. ورواه أحمد وإسحاق عن معاذ، ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي رافع عن أبي هريرة ورواه معمر عن ابن طاوس عن

أبيه عن أبي هريرة موقوفًا عليه، وهذا لا يضر الحديث، فإنه إن سلك طريق ترجيح الزائد لزيادته فواضح، وإن سلك طريق المعارضة فغايتها تحقق الوقف، ومثل هذا لا يقدم عليه بالرأي إذ لا مجال فيقبل بجزم بأن هذا توقيف لا عن رأي. وأما حديث أنس فرواه جرير بن عبد الحميدعن ليث بن أبي سليم عن عبد الوارث عن أنس عن النبي ﷺ(يؤتى يوم القيامة بأربعة: بالمولود، وبالمعتوه، وبمن مات في الفترة، وبالشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب سبحانه لعنق من جهنم: ابرزي. ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسولاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم قال ويقول لهم: ادخلوا هذه. ويقول من كتب عليه الشقاء: أني ندخلها، ومنها كنا نفر؟ فيقول الله: فأنتم لرسلي أشد تكذيباً. قال: وأما من كتب عليه السعادة فيمضي فيقتحم فيها. فيدخل هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار)، وهذا وإن لم يعتمد عليه بمجرده لمكان ليث بن أبي سليم عن عبد الوارث عن أنس عن النبيد ﷺ. وأما حديث معاذ فتقدم الكلام عليه. وأما حديث أبي سعيد فرواه محمد بن يحيى الذهلي أخبرنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله، ﷺ :(الهالك في الفترة والمعتوه والمولود، يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب. ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ويقول المولود: رب لم أدرك العقل. فيرفع لهم ناراً فيقول: ردوها. قال فيردها من كان في علم الله سعيدًا لو أدرك العمل. ويمسك عنها من كان في علم الله شقيًا لو أدرك العمل. فيقول: إياي عصيتم. فكيف لو رسلي أتتكم)، تابعه الحسن بن موسى عن فضيل. ورواه أبو نعيم عن فضيل بن مرزوق فوقفه. فهذا وإن كان فيه عطية فهو ممن يعتبر بحديثه ويستشهد به، وإن لم يكن حجة. وأما الوقف فقد تقدم نظيره من حديث أبي هريرة. فهذه الأحاديث يشدبعضها بعضاً وتشهدلها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة، نقله عنهم الأشعري، رحمه الله، في (المقالات) وغيرها.

فإن قيل: فد أنكر ابن عبد البر هذه الأحاديث وقال: أهل العلم ينكرون أحاديث وليس ذلك في وسع المخلوقين، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها؟ فالجواب من وجوه: (أحدها) أن أهل العلم لم يتفقوا على إنكارها بل ولاأكثرهم، وإن أنكرها بعضهم فقد

صحح غيره بعضها كما تقدم.

(الثاني) أن أبا الحسن الأشعري حكى هذا المذهب عن أهل السنة والحديث، فدل على أنهم ذهبوا إلى موجب هذه الأحاديث.(الثالث) أن إسناد حديث الأسود أجود من كثير من الأحاديث التي يحتج بها في الأحكام، ولهذا رواه الأئمة أحمد وإسحاق وعلي بن المديني.(الرابع) أنه قد نص جماعة من الأئمة على وقوع الامتحان في الدار الآخرة وقالوا: لا ينقطع التكليف إلا بدخول دار القرار ذكره البيهقي عن غير واحد من السلف.(الخامس) ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد في الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولاً إليها أن اللّه سبحانه وتعالى يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأله غير الذي يعطيه، وأنه يخالفه ويسأله غيره فيقول اللّه تعالى:«ما أغدرك» وهذا الغدر منه لمخالفته للعهد الذي عاهد ربه عليه .(السادس) قوله: وليس ذلك في وسع المخلوقين. جوابه من وجهين، أحدهما: أن ذلك ليس تكليفاً بما ليس في الواسع، وإنما هو تكليف بما فيه مشقة شديدة، وهو كتكليف بني إسرائيل قتل أولادهم وأزرواجهم وآبائهم حين عبدوا العجل، وكتكليف المؤمنين إذا رأوا الدجال ومعه مثال الجنة والنار أن يقعوا في الذي يرونه ناراً. الثاني: أنهم لو أطاعوه ودخلوها لم يضرهم، وكانت برداً وسلاماً. فلم يكلفوا بممتنع ولا بما لم يستطع.(السابع) أنه قد ثبت أنه سبحانه وتعالى يأمرهم في القيامة بالسجود ويحول بين المنافقين وبينه، وهذا تكليف بما ليس في الوسع قطعاً، فكيف ينكر التكليف بدخول النار في رأي العين إذا كانت سبباً للنجاة؟ كما جعل قطع الصراط الذي أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف سبباً كما قال أبو سعيد الخدرى:« بلغني أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف» رواه مسلم، فركوب هذا الصراط الذي في غاية المشقة كالنار ولهذا كلاهما يفضي منه إلى النجاة واللّه أعلم.(الثامن) أن هذا استبعاد مجرد لا ترد بمثله الأحاديث، والناس لهم طريقان: فمن سلك طريق المشيئة المجردة لم يمكنه أن يستبعد هذا التكليف، ومن سلك طريق الحكمة والتعليل لم يكن معه حجة تنفي أن يكون هذا التكليف موافقاً للحكم، بل الأدلة الصحيحة تدل على أنه مقتضى الحكمة كما ذكرناه.(التاسع) أن في أصح هذه الأحاديث وهو حديث الأسود أنهم يعطون ربهم المواثيق ليطيعنه فيما يأمرهم به،

فيأمرهم أن يدخلوا نار الامتحان، فيتركون الدخول معصية لأمره لا لعجزهم عنه، فكيف يقال: إنه ليس في الوسع؟.

فإن قيل: فالآخرة دار جزاء، وليست دار تكليف، فكيف يمتحنون في غير دار التكليف؟ فالجواب: أن التكليف إنما ينقطع بعد دخول دار القرار. وأما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع، وهذا معلوم بالضرورة من الدين من وقوع التكليف بمسألة الملكين في البرزخ وهي تكليف. وأما في عرصة القيامة فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (القلم: ٤٢)، فهذا صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذ ذاك، ويكون هذا التكليف بما لا يطاق حينئذ حساً عقوبة لهم، لأنهم كلفوا به في الدنيا وهم يطيقونه فلما امتنعوا منه وهو مقدور لهم كلفوا به وهم لا يقدرون عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم، ولهذا قال تعالى :﴿ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ (٤٣)، دعوا إليه في وقت حيل بينهم وبينه كما في الصحيح من حديث زيد بن أسلم عن عطاء عن أبي سعيد، رضي الله عنه:« أن ناساً قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا»- فذكر الحديث بطوله: إلى أن قال-« فيقول تتبع كل أمة ماكانت تعبد. فيقول المؤمنين: فارقنا الناس في الدنيا أفقر ماكنا إليهم، ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا- مرتين- أو ثلاثًا- حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقًا واحدًا كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم» وذكر الحديث. وهذا التكليف نظير تكليف البرزخ بالمسألة، فمن أجاب في الدنيا طوعًا واختيارًا أجاب في البرزخ، ومن امتنع من الإجابة في الدنيا منع منها في البرزخ، ولم يكن تكليفه في الحال وهو غير قادر قبيحًا بل هو مقتضى الحكمة الإلهية لأنه مكلف وقت القدرة وأبى، فإذا كلف وقت العجز وقد حيل بينه وبين الفعل كان عقوبة له وحسرة، والمقصود أن التكليف لا ينقطع إلا بعد دخول الجنة أو النار: وقد تقدم أن حديث الأسود بن سريع صحيح، وفيه

التكليف في عرصة القيامة، فهو مطابق لما ذكرنا من النصوص الصحيحة الصريحة. فعلم أن الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة وتأتلف به النصوص ومقتضى الحكمة هذا القول. والله أعلم.

وقد حكى بعض أهل المقالات عن عامر بن أشرس أنه ذهب إلى أن الأطفال يصيرون في يوم القيامة ترابًا، وقد نقل عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد وغيرهم أنهم كرهوا الكلام في هذه المسألة جملة)[1].

✿ ✿

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن القيم الجوزية، ط٣ سنة ١٤٠٠ هـ، من ص ٣٦٠ - ٣٧٣.

# مظهر آخر من الحرب ضد الإسلام

إذا كانت محاربة الإسلام هي الهدف الأول للحملات التنصيرية لكونه- كما يرون- العدو الأول لهم، فإن جماعات من المستشرقين قد فتحوا جبهة أخرى في الحرب ضد الإسلام.

وهي حرب ضد الكتاب العزيز والحديث الشريف ومحمد - عليه الصلاة والسلام- وتراث الأمة الإسلامية، ولم تكن جديدة في حقيقتها وواقعها، ولكنهم جدوا فيها في العصر الحديث وهي محاربة اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراث الأمة الإسلامية، وإحدى الروابط الوثيقة التي تلتقي عليها الأمة.

وهم في حربهم اللغة العربية كانوا يعملون على نجاح واحد من أمرين:

أولهما:أن تحل اللغة الإنجليزية أو الفرنسية محل اللغة العربية، فإن لم يكن ذلك فالأمر الثاني: وهو إحلال العامية محل اللغة العربية الفصحى، وغرضهم من ذلك يمكن تلخيصه في ثلاثه أهداف: الأول: محاربة الإسلام.

والثاني: تمزيق أمة القرآن.

والثالث: فرض اللغة الإنجليزية أو الفرنسية وثقافتهما على الأمة العربية لتصبح بلادنا جزءاً من بلادهم أو على الأقل تصير الأمة العربية من البلدان الناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية.

وآثار تلك الحرب الفكرية والثقافية لاتزال مشهودة في بعض البلاد العربية التي منيت بالاستعمار الإنجليزي أو الفرنسي وكان طبيعياً بالنسبة لدعوتهم أن تكون محاربة القرآن الكريم والسنة المطهرة ومحمد ﷺ وتراث الأمة جزءاً من عملهم.

ولما كنت قد تحدثت عن ذلك في بعض مما ألفت لم أر من المناسب إعادة الحديث عن هذه الموضوعات في بحث أردته مختصراً(١).



---

(١) إذا أردت الاطلاع على شئ من ذلك وأصدائه عند رجال الفكر من العلماء والأدباء فاقرأ من ذلك أباطيل وأسمار لمحمود محمد شاكر، والاتجهات الوطنيه في الأدب المعاصر للأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، وتاريخ الدعوة إلى العامية للدكتورة نفوسة زكريا، وتحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي، وتوثيق الارتباط بالتراث العربي للأستاذ عبد العزيز الرفاعي ودواوين أحمد شوقي وأحمد محرم، وحافظ إبراهيم، ومحمد عبد المطلب، وشيوخ الأدب الحديث لحبيب الزحلاوي، والصراع بين القديم والجديد للدكتور محمد الكتاني والغزو الفكري في العالم العربي لعبد الله عبد الجبار، وفي الأدب الحدث لعمر الدسوقي، واللغة العربية بين حماتها وخصومها لأنور الجندي.
وإذا شئت فاقرأ من ذلك ما في كتابَيْنا : الشعر الحديث بين المحافظة والتجديد، والأدب الحديث تاريخ ودراسات.

# الخاتمـــــة

لقد فرغت من هذا البحث الموجز في أجوبة أسئلة وردت من بعض الفضلاء كما أسلفنا في المقدمة فتبين لنا فيه مالم يكن خفياً على العارفين، وإن احتاج إليه كثيرون من المثقفين.

على أن فيه من الإشارات والتنبيهات ماليس منه بدّ لطالب العلم الذي سيجد فيه- على الأقل- مايلفت انتباهه إلى أهم المصادر في مثل هذه المسائل التي كثيراً ماخاض فيها أعداء الإسلام مع من لم يتزود فيها من المسلمين فيشكل عليهم الأمر في بعضها ورجال السلف من المتقدمين والمتأخرين قد جلو وجه الحق في هذا في تفسير كتاب اللّه العزيز وشرح سنة رسوله ﷺ ثم ما ألفوا من الأسفار الجليلة نقبس من نورها، ثم نقول ألفنا، آملين أن نحظى بشيءٍ من الأجر ولوعلى النية، ونحبهم راجين أن يتحقق لنا ما وعدبه الحديث الشريف:

[عن عبد اللّه عن النبي ﷺ أنه قال: (المرء مع من أحب).

وقال عبد اللّه بن مسعود- رضي اللّه عنه- جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يارسول اللّه كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟، فقال رسول اللّه ﷺ: (المرء مع من أحب).

وعن أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة يارسول اللّه؟" قال : (ما أعددت لها)؟، قال: ماأعددت لها من كثير صلاة ولاصوم ولا صدقة، ولكني أحب اللّه ورسوله. قال: ( أنت مع من أحببت")[(١)].

(١) صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٤٨.

ثم ما يرتجيه الذي يقول:

أُحبُ الصالحين ولستُ منهم
وأرجو أن أنال بهم شفاعة

والنحوي الذي يقول:

عليكَ بأرباب الِصدورِ فَمنْ غَدا
مُضاَفًا لأُرباب الِصدورِ تصدرا

وَفَّقنا اللّه لما فيه صلاح أمر ديننا ودنيانا، وجعل عملنا خالصًا لوجهه. فنأمل حصول الأجر والثواب، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

✿ ✿

# المصادر والمراجع


١- إظهار الحق للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرواني- عني بطبعه ومراجعته الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري- طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر.

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- طبع بدار إحياء الكتب العربية.

٣- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

٤- الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية -طبعة المدني بمصر.

٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ.

٦- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي- تحقيق أحمد محمد شاكر- الطبعة الثانية سنة١٣٧٣هـ.

٧- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجعفي- مطبعة المعاهد سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣م.

٨- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - صورة من طبعة استانبول المحققة المطبوعة سنة ١٣٢٩هـ.

٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- مراجعة السيد محب الدين الخطيب- الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ.

١٠- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية- لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل- مطبعة حجازي بالقاهرة.

١١- في ظلال القرآن- لسيد قطب- الطبعة الثانية عشرة سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة- حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة.

١٣- كتاب النبوات للإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية- عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ إدارة الطباعة المنبرية.

١٤- كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- طبعة جديدة سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

١٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري- رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد- الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ- ١٩٥٣م.

١٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي- الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ.

١٧- المناظرة بين الشيخ رحمة الله، والقسيس فندر- تحقيق وتعليق الدكتور محمد بن عبد القادر خليل- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ.

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

# تعريف بالأستاذ الدكتور
# محمد بن سعد بن محمد آل حسين

١ ــ الاسم الكامل: محمد بن سعد بن محمد آل حسين والشهرة: ابن حسين.

٢ ــ المولد سنة: ١٣٥٠هـ ببلدة العودة من إقليم سدير.

٣ ــ بدأ تعليمه في البلدة على عمه عبدالله ثم أبيه رحمهما الله.

٤ ــ أرسله أبواه إلى الرياض فدرس بها على العلماء مثل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأخيه عبداللطيف وسعود بن رشود وإبراهيم بن سليمان رحمهم الله.

٥ ــ رحل إلى الحجاز ودرس في الحرم المكي الشريف على بعض العلماء مثل الشيخ عبدالرازق حمزة، والشيخ أبو السمح إمام الحرم وجلس إلى الشيخ عبدالله بن حسن رحمهم الله.

٦ ــ التحق بدار التوحيد ودرس بها سنتين ثم عاد إلى الرياض وأتم دراسته في المعهد العلمي ثم كلية اللغة العربية.

٧ ــ رشحه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله للقضاء فأعتذر ولم يعف إلا بواسطة الشيخ عبداللطيف رحمه الله.

٨ ــ عمل مدرساً في المعهد العلمي ثم في كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ولايزال.

٩ ــ وكان قد حصل على الماجستير ثم الدكتوراه في الأدب والنقد بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالأزهر.

١٠ ــ هو أول من أقر تدريس الأدب السعودي في الرئاسة العامة للمعاهد والكليات قبل أن تصير جامعة وهي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ثم حذت هذا العمل جامعات المملكة مقتدية به.

١١ ــ وأول من حاضر عن الأدب السعودي وذلك قبل مايزيد عن ثلاثين عاماً.

١٢ ــ وأول من حاضر في الأندية الرياضية وبالذات في نادي الهلال والنصر الرياضيين.

١٣ ــ وأول سعودي اشترك في ندوة شعرية في نادي الهلال الرياضي قبل خمسة وعشرون عاماً تقريباً مع الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي والدكتور زاهر الألمعي.

١٤ ــ وأول من ألف كتاباً تاريخياً ونقدياً عن الأدب السعودي ونشر قبل أثنين وعشرين عامًا.

١٥ ـ وأول شخص بالمملكة تعلم طريقة برايل وإلى جانبها تعلم الضرب على آلة المبصرين.

١٦ ـ وأول من أسس مدرسة لتعليم المكفوفين وذلك قبل سبعة وثلاثين عاماً وتشهد بذلك الوثائق التربوية التي نشرتها وزارة المعارف مرتين الأولى في كتاب والثانية في مجلة.

١٧ ـ وأسهم في فتح مدرسة ابتدائية ليليه درس فيها زملائه تبرعاً.

١٨ ـ ونشر من **كتبه ثمانية** وعشرين كتاباً في الأدب السعودي والبلاد السعودية وفي الأدب العربي بعامة قديمه وحديثه ومنها ديوان شعر ولديه مثلها من المؤلفات المخطوطة.

١٩ ـ وقدم محاضرات في الأدب السعودي في الداخل والخارج.

٢٠ ـ واستزارته بعض الجامعات العربية لإلقاء المحاضرات.

٢١ ـ اشترك في بعض المؤتمرات في الخارج.

٢٢ ـ رأس بعض الندوات الأدبية والتربوية في المملكة وأسهم في ندوات ومؤتمرات عدة.

٢٣ ـ وهو الذي رسم الخط الأساسي لقسم الإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٤ ـ وأسهم في الإذاعة السعودية ببرنامج (من المكتبة السعودية) والذي دخل سنته **الثالثة** عشرة وذلك في خدمة الكتاب السعودي، كما أسهم ببرنامجين في إذاعة القرآن الكريم أحدهما (من شعراء الإسلام) استمر ثلاث سنين، والثاني (من مكتبة التراث) ولايزال متصلاً.

٢٥ ـ أسهم في البرامج العامة الأخرى في الإذاعة والتلفاز بأحاديث ولقاءات وندوات أقدمها كان منذ ٢٨ عام أو تزيد.

٢٦ ـ قدم ما يزيد على ثلاثين محاضرة في الأندية الأدبية السعودية وبعض فروع جمعيات الثقافة وإدارات التعليم، وشارك في جملة من الندوات.

٢٧ ـ نشر كثيراً جداً من البحوث والمقالات في المجلات والصحف وأجرى معه ما يزيد عن أربعين لقاء صحفياً.

٢٨ ـ قام بتنظيم مناهج قسم الأدب وتحديثها وفق أهداف الجامعة التي تخدم أهداف الدولة وخص الأدب السعودي بفصل دراسي كامل كل عام.

٢٩ ـ أسهم في التنظيم والتوجيه والرأي في المجالس المتخصصة في الكلية وكان عضواً في مجلسها.

٣٠ ـ أشرف على جملة طيبة من رسائل الدكتوراه والماجستير واشترك في مناقشة رسائل أخرى، ومازال يشرف ويناقش.

٣١ ــ حكم في أعمال علمية متخصصة توجه إليه من الداخل والخارج ومازال يحكم.

٣٢ ــ وذلك كله إلى جانب خدمته في التعليم أستاذاً في الأدب والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية وقد مضى عليه في العمل فيها أربعون عاماً رئس فيها قسم الأدب سبع سنين إلى أن تفرغ في منتصف عام ١٤٠٩هـ ثم عاد إلى العمل في الكلية مع كونه قد أحيل إلى التقاعد لمضي أربعين سنة في الخدمة.

**٣٣ ــ وعضو برابطة الأدب الإسلامي.**

**دون هذا التعريف في ١ / ٧ / ١٤١٢هـ**